كتاب فضائل القرآن

قال البخاريُّ رحمه الله:

كيفَ نزولُ الوحيِ وأولُ ما نزل

قال ابن عباس: المهيمنُ: الأمين. القرآنُ أمينٌ على كلِّ كتابٍ قبلَه.

حدثنا عُبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة قال: أخبرَتْني عائشةُ وابنُ عباسٍ قالا: لبِثَ النبيُّ ﷺ بمكةَ عشرَ سنينَ ينزِلُ عليه القرآن، وبالمدينة عشرَ سنين[١].

ذكرَ البخاريُّ رحمه الله كتاب «فضائل القرآن» بعد كتاب التفسير؛ لأنَّ التفسيرَ أهمُّ؛ ولهذا بدأ به.

وقولُ ابن عباس في تفسيرِ المهيمن إنَّما يريد به البخاريُّ قولَه تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا المثنَّى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية، عن علي - يعني ابنَ أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: المهيمن: الأمين. قال: القرآن أمينٌ على كلِّ كتابٍ قبلَه[٢].

وفي رواية: شهيداً عليه[٣].

وقال سفيان الثوري وغيرُ واحدٍ من الأئمة عن أبي إسحاق السَّبيعي، عن

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٧٨) و (٤٩٧٩).

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٧.

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٦.

التَّميمي، عن ابن عباس: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمناً[١]. وبنحو ذلك قال مجاهد والسُّدِّي وقَتادة وابنُ جُرَيج والحسن البصري وغيرُ واحدٍ من أئمة السلف.

وأصل الهَيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رَقَبَ الرجلُ الشيءَ وحفِظَه وشهِدَه: قد هيمنَ فلانٌ عليه، فهو يهيمن هيمنةً، وهو عليه مهيمن، وفي أسماء الله تعالى: المهيمن، وهو الشهيد على كلِّ شيء، والرقيب: الحفيظ بكلِّ شيء.

وأما الحديث الذي أسنده البخاري: أنه عليه السلام أقامَ بمكةَ عشْرَ سنينَ ينزِلُ عليه القرآن، وبالمدينة عشراً، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم، وإنما رواه النسائيُّ من حديث شيبان ـ وهو ابن عبد الرحمن ـ عن يحيى ـ وهو ابن أبي كثير ـ عن أبي سلمة، عنها[٢].

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أُنزِل القرآنُ جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[٣] [الإسراء: ١٠٦]. هذا إسناد صحيح.

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا ما لا خلافَ فيه، وأما إقامته بمكةَ بعد النبوة فالمشهورُ ثلاثَ عشْرةَ سنة؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام أُوحيَ إليه وهو ابنُ أربعين سنة، وتوفي وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً على الصحيح، ويَحتمِلُ أنه حذَفَ ما زاد على العشرة اختصاراً في الكلام؛ لأنَّ العربَ كثيراً ما يحذِفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قَرْنَ جبريل عليه السلام، فإنَّه قد روى الإمام أحمد أنه قُرِنَ به عليه السلام ميكائيلُ في ابتداء الأمر، يُلقي إليه الكلمةَ والشيء، ثم قُرِنَ به جبريل[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٦/٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٢) سنن النسائي الكبرى (٦٩٧٧) .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٢٢ .

(٤) وعزاه السيوطي في «الإتقان» ١/١٤٣ إلى أحمد في «تاريخه» من كلام الشعبي، وفيه «إسرافيل» بدلاً من «ميكائيل».

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن: أنه ابتُدِئ بنزوله في مكانٍ شريف، وهو البلد الحرام، كما أنَّه كان في زمنٍ شريفٍ، وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرفُ الزمان والمكان؛ ولهذا يُستحَبُّ إكثارُ تلاوةِ القرآن في شهر رمضان؛ لأنه ابتُدِئ نزولُه فيه؛ ولهذا كان جبريل يُعارِضُ به رسولَ الله ﷺ في كلِّ سنةٍ في شهر رمضان، فلمَّا كان في السنة التي تُوفِّي فيها عارضَه به مرتين تأكيداً وتثبيتاً.

وأيضاً في هذا الحديث بيانُ أنه من القرآن مكيٌّ ومنه مدنيٌّ، فالمكيُّ: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، سواءٌ كان بالمدينة أو بغيرها من أيِّ البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.

وقد أجمعوا على سورٍ أنها من المكيِّ وأُخَرَ أنها من المدني، واختلفوا في أُخَر، وأراد بعضُهم ضبْطَ ذلك بضوابطَ في تقييدها عُسرٌ ونظر، ولكن قال بعضهم: كلُّ سورةٍ في أولها شيءٌ من الحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، كما أنَّ كلَّ سورةٍ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهي مدنية، وما فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فيَحْتَمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكي، وقد يكون مدنياً كما في البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال أبو عُبيد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يُحدِّث عن إبراهيم، عن علقمة: كلُّ شيءٍ في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنه أُنزِلَ بالمدينة، وما كان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنه أُنزِلَ بمكة[1].

ثم قال: حدثنا علي بن معبد، عن أبي المَلِيح، عن ميمون بن مِهْران، قال: ما كان في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ فإنه مكِّيٌّ، وما كان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) فضائل القرآن ص٢٢٢ ، وفي إسناده إبهام الراوي عن الأعمش.

﴿ءَامَنُوا﴾ فإنه مدني[١].

ومنهم من يقول: إنَّ بعض السُّوَرِ نزلَ مرتين، مرةً بالمدينة ومرةً بمكة، والله أعلم.

ومنهم من يستثني من المكيِّ آياتٍ يدَّعي أنها من المدني، كما في سورة الحج وغيرها.

والحقُّ في ذلك ما دلَّ عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم.

وقال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، قال: نزلتْ بالمدينة سورةُ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون، والتغابن، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ والفجر، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، و﴿لَمْ يَكُنِ﴾، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وسائر ذلك بمكة[٢]. وهذا إسنادٌ صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحدُ أصحاب ابن عباس الذين رَوَوا عنه التفسير.

وقد ذَكرَ في المدنيِّ سُوراً في كونها مدنيةً نظر، وفاته الحجرات والمُعوِّذات.

الحديث الثاني: وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مُعتَمِرٌ قال: سمعتُ أبي عن أبي عثمانَ قال: أُنبِئتُ أنَّ جبريلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ وعندَه أمُّ سلمة، فجعلَ يتحدَّثُ، فقال النبيُّ ﷺ: «من هذا ؟» ـ أو كما قال ـ قالت: هذا دِحْيةُ. فلمَّا قامَ قلتُ: واللهِ ما حسِبتُه إلا إيَّاه، حتى سمعتُ خُطبةَ النبيِّ ﷺ يُخبرُ خبَرَ جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي: فقلتُ لأبي عثمان: ممَّنْ سمعتَ هذا؟ فقال: من

(١) فضائل القرآن ص٢٢٢ ، وإسناده صحيح.

(٢) فضائل القرآن ص٢٢١ .

أسامة بن زيد[١].

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النَّرسي. ومسلم في فضائل أمِّ سلمةَ عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى، كلُّهم عن معتمر بن سليمان، به[٢].

والغرضُ من إيراد هذا الحديث ها هنا أنَّ السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريلُ عليه السلام، وهوملَكٌ كريمٌ، ذو وَجاهةٍ وجلالةٍ ومكانةٍ، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ الآيات [التكوير: ١٩-٢٢]. فمدحَ الربُّ تبارك وتعالى عبدَيه ورسولَيه جبريلَ ومحمداً ﷺ، وسنستقصي الكلامَ على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وفي الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها ـ كما بيَّنهُ مسلمٌ رحمه الله ـ لرؤيتها لهذا الملَكِ العظيم، وفضيلةٌ ـ أيضاً ـ لدحيةَ بنِ خليفةَ الكلبي، وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام كان كثيراً ما يأتي رسولَ الله ﷺ على صورة دِحيةَ، وكان جميلَ الصورة ـ ﷺ ـ وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، كلُّهم يُنسَبون إلى كلب ابن وبرة، وهم قبيلةٌ من قُضاعة، وقُضاعةُ قيل: إنهم من عدنان، وقيل: من قحطان، وقيل: بطنٌ مستقلٌّ بنفسه، والله أعلم.

الحديث الثالث: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا اللَّيث، حدثنا سعيد المقبُري، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطيَ [من الآيات][٣] ما مثلُه آمنَ عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحاه**

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٣٤)، وصحيح مسلم (٢٤٥١).

(٣) ما بين حاصرتين ليس في النسخة الخطية، وأُثبت من صحيح البخاري.

اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يومَ القيامة»[١].

ورواه أيضاً في الاعتصام، عن عبد العزيز بن عبد الله. ومسلم، والنسائي، عن قُتيبة. جميعاً عن اللَّيث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه ـ واسمه كيسان المقبُري ـ به[٢].

وفي هذا الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للقرآن المجيد، على كلِّ معجزةٍ أُعطيها نبيٌّ من الأنبياء، وعلى كلِّ كتابٍ أنزله، وذلك أنَّ معنى الحديث: ما من نبيٍّ إلا أُعطيَ من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتَّبعه منِ اتَّبعه من البشر، ثم لمَّا ماتَ الأنبياءُ لم تبقَ لهم معجزةٌ بعدَهم إلا ما يحكيه أتباعُهم عما شاهده في زمانه، فأما الرسولُ الخاتِمُ للرسالة محمدٌ ﷺ، فإنما كان مُعظَمُ ما آتاه اللهُ وحياً منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كلِّ حينٍ هو كما أُنزِلَ، فلهذا قال: «**فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً**»، وكذلك وقع، فإنَّ أتباعَه أكثرُ من أتباع الأنبياء؛ لعموم رسالته، ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم تقاصَرَ معهم إلى عشرِ سُوَرٍ منه، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣] ثم تحدَّاهم إلى أن يأتوا بسورةٍ من مثله، فعجَزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٣٨]، وقصر التحدِّي على هذا المقام في السُّوَرِ المكيَّةِ ـ كما ذكرنا ـ وفي المدينة أيضاً كما في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ

(١) صحيح البخاري (٤٩٨١).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٧٤)، وصحيح مسلم (١٥٢)، وسنن النسائي الكبرى (١١١٢٩).

﴿تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فأخبرَهم بأنهم عاجزون عن مُعارَضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً، وهذا وَهُمْ أفصَحُ الخلقِ وأعلَمُهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضُروبه، لكن جاءهم من الله مالا قِبَلَ لأحدٍ من البشرية من الكلامِ الفصيحِ البليغِ الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، [والأخبارِ الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكامِ العادلة والمحكمة،][1] كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا محمد ابن إسحاق قال: ذكَرَ محمد بن كعب القُرَظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلتُ: لآتينَّ أميرَ المؤمنين، فلأسألَنَّه عما سمعتُ العشيَّةَ. قال: فجئتُه بعد العِشاء، فدخلتُ عليه... فذكر الحديث. قال: ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«أتاني جبريلُ، فقال: يا محمد، [إنَّ][2] أمَّتكَ مختلفةٌ بعدَكَ. قال: فقلتُ له: فأين المَخْرَجُ يا جبريل؟ قال: فقال: كتابُ اللهِ، به يَقْصِمُ اللهُ كلَّ جبار، من اعتصمَ به نجا، ومن تركَه هلَك ـ مرتين ـ قولٌ فَصْلٌ وليس بالهزل، لا تُخْلِقُه الألسُن، ولا تفنى عجائبُه، فيه نبأُ مَنْ كان قبلَكم، وفصلُ ما بينَكم، وخبرُ ما هو كائنٌ بعدكم»** هكذا رواه الإمام أحمد[3].

وقال أبو عيسى التِّرمذي: حدثنا عبد بن حُمَيد، حدثنا حسين بن علي الجُعفي، حدثنا حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، قال: مررتُ في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلتُ على عليٍّ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا في

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في النسخة الخطية، وأُثبت من طبعة الشيخ محمد رضا.

(٢) ما بين حاصرتين أُثبت من مسند أحمد.

(٣) مسند أحمد (٧٠٤).

الأحاديث؟ قال: أوَ قَدْ فعلوها؟ قلتُ: نعم. قال: أما إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المَخْرجُ منها يا رسول الله؟ قال: **«كتابُ الله، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، هو الفَصلُ ليس بالهَزْل، من تركه من جبارٍ قَصَمه الله، ومنِ ابتغى الهدى من غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تَلْتَبِسُ به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُقُ عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبُه، هو الذي لم تنتَهِ الجنُّ إذْ سمِعَتْه حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾** [الجن: ١، ٢]، **من قال به صَدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكَمَ به عَدَل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم»**. خذها إليك يا أعور. ثم قال: هذا حديثٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال[1].

قلتُ: لم ينفرِدْ بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرِئ حمزةُ من عُهدَتِه، على أنه وإنه كان ضعيفَ الحديثِ إلا أنه إمامٌ في القراءة والحديث، مشهورٌ من رواية الحارث الأعور وقد تكلَّموا فيه، بل قد كذَّبه بعضُهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمَّد الكذبَ في الحديث فلا، والله أعلم.

وقُصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، وقد وَهِمَ بعضُهم في رفعه، وهو كلامٌ حسنٌ صحيحٌ على أنه قد رُوي له شاهدٌ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وأبو المختار الطائي وابن أخي الحارث مجهولان. وقوله: «لا تلتبس به الألسنة» أي: لا تتعسَّر عليه ألسنة المؤمنين ولو كان من غير العرب. «ولا يخلق» بفتح الياء وضم اللام، وبضم الياء وكسر اللام، من خلِقَ الثوب: إذا بلي. «عن كثرة الرد» أي: لا تزول لذَّة قراءته، وطراوة تلاوته، واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره. «ولا تنقضي عجائبه» أي: لا ينتهي غرائبه التي يُتعجَّب منها. تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢١ - ٢٢٢.

قال الإمام العلَمُ أبو عُبيد القاسم بن سلام في كتابه «**فضائل القرآن**» حدثنا أبو اليَقْظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيرُه، عن أبي إسحاق الهجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ هذا القرآن مأدُبةُ اللهِ تعالى، فتعلَّموا من مأدُبَتِه ما استطعتُم، إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو النورُ المبين، والشِّفاءُ النافع، عِصْمَةٌ لمن تمسَّكَ به، ونجاةٌ لمن تَبِعَه، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ، ولا يزيغُ فيُستَعتَبُ، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، فاتْلُوه، فإنَّ اللهَ يأجُرُكُمْ على تلاوتِه بكلِّ حرفٍ عشرَ حسنات، أما إنِّي لا أقولُ لكم: ألم حرف، ولكن ألِفٌ عشر، ولامٌ عشر، وميمٌ عشر**»[1]. وهذا غريبٌ من هذا الوجه.

وقد رواه محمد بن فُضَيل، عن أبي إسحاق الهَجَري ـ واسمه إبراهيم بن مسلم ـ وهو أحد التابعين، ولكن تكلَّموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: ليِّنٌ ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأَزْدي: رفَّاعٌ كثيرُ الوهم. قلت: فيَحتَمِلُ ـ والله أعلم ـ أن يكون وَهِمَ في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهدٌ من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا حجَّاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن[2] بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، قال: لا يسألُ عبدٌ عن نفسِه إلا القرآنَ، فإن كان يُحِبُّ القرآنَ فإنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه[3].

الحديث الرابع: قال البخاري: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك، أنَّ اللهَ تابعَ الوحيَ على رسولِه ﷺ بَعْدُ[4].

---

(١) فضائل القرآن ص٢١ .

(٢) تحرف في النسخة الخطية إلى عبد الله ، والمثبت من فضائل القرآن لأبي عبيد.

(٣) فضائل القرآن ص٢١ ـ ٢٢ ، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٤٩٨٢) .

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا ـ وهو الناقد ـ وحسن الحلواني وعبد ابن حميد، والنسائي عن إسحاق بن منصور الكَوْسَج، أربعتُهم عن يعقوب بن إبراهيم ابن سعد الزُّهري، به[١].

ومعناه: أنَّ الله تعالى تابعَ نزولَ الوحيَ على رسول الله ﷺ شيئاً بعد شيء، كلَّ وقتٍ بما يحتاج إليه، ولم تقعْ فترةٌ بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرَّةٍ بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فإنه استلبث الوحي بعدَها حيناً، يُقال: قريباً من سنتين أو أكثر، ثم حميَ الوحيُ وتتابع، وكان أولَ شيءٍ نزلَ بعد تلك الفترة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

الحديث الخامس: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس، قال: سمعتُ جُنْدُباً يقول: اشتكى النبيُّ ﷺ فلم يقُمْ ليلةً أو ليلتين، فأتَتْه امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانَكَ إلا تركَكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣][٢].

وقد رواه البخاري في غير موضعٍ أيضاً، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من طُرقٍ أُخَر، عن سفيان ـ وهو الثوري ـ وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي، عن جُندُب بن عبد الله البَجَلي، به[٣].

وسيأتي[٤] الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى، إن شاء الله تعالى[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٣٠١٦)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٨٣).

(٣) صحيح البخاري (١١٢٥) و(٤٩٥٠) و (٤٩٥١)، وصحيح مسلم (١٧٩٧)، وسنن الترمذي (٣٣٤٥)، وسنن النسائي الكبرى (١١٦٨١).

(٤) في نسخة الشيخ محمد رضا: وقد تقدم.

(٥) في هذا الكلام قرينةٌ على أن كتاب فضائل القرآن هذا هو من ضمن تفسير المؤلف رحمه الله.

والمناسبةُ في ذِكْرِ هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن: أنَّ الله تعالى له برسوله عنايةٌ عظيمةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، حيثُ جعل الوحيَ متتابعاً عليه ولم يقْطَعْه عنه؛ ولهذا إنما أُنزِلَ عليه القرآنُ مفرَّقاً؛ ليكون ذلك في أبلغ العناية والإكرام.

قال البخاري رحمه الله: نزلَ القرآنُ بلسانِ قُريشٍ والعرب، قرآناً عربياً، بلسانٍ عربيٍّ مُبين.

حدثنا أبو اليمان، حدثنا شُعيب، عن الزُّهري، أخبرني أنس بن مالك، قال: فأمرَ عثمانُ بنُ عفَّانَ زيدَ بنَ ثابتٍ وسعيدَ بنَ العاص وعبدَ اللهِ بنَ الزُّبير وعبدَ الرحمنِ ابنَ الحارثِ بنِ هشامٍ أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتُم أنتم وزيدٌ في عربيةٍ من عربيةِ القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإنَّ القرآنَ نزلَ بلسانهم، ففعلوا[1].

هذا الحديث قطعةٌ من حديثٍ سيأتي قريباً الكلامُ عليه، ومقصودُ البخاري منه ظاهر، وهو أنَّ القرآن نزلَ بلُغةِ قريش، وقريشٌ خلاصة العرب؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاَّد، حدثنا يزيد، حدثنا شَيبان، عن[2] عبد الملك بن عُمير، عن جابر بن سَمُرة، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: لا يُملِينَّ في مصاحفَنا هذه إلا غلمانُ قريشٍ أو غلمانُ ثَقيف[3]. وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا هَوْذة، حدثنا عوف، عن عبد الله ابن فَضالة، قال: لمَّا أراد عمرُ أن يكتُبَ الإمامَ أقعدَ له نفَراً من أصحابه وقال: إذا اختلفتُمْ في اللغة فاكتبوها بِلُغة مُضَر، فإنَّ القرآنَ نَزَلَ بِلُغةِ رجلٍ من مُضر ﷺ[4].

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٤).

(٢) تحرفت في النسخة الخطية إلى «بن».

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٣٧).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٣٤)، وإسناده ضعيف، عبد الله بن فضالة فيه جهالةٌ، ثم إن في هذا الأثر نكارة؛ إذ إن عمر لم يثبت عنه أنه أراد كتابة الإمام، بل المشهور في ذلك عن عثمان بن عفان.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ الآية [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدَّالةِ على ذلك.

ثم ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ حديثَ يعلى بنَ أُمية أنه كان يقول: ليتني أرى رسولَ اللهِ ﷺ حين ينزِلُ عليه الوحيُ. فذكر الحديث الذي سألَ عمَّن أحرمَ بعمرةٍ وهو مُتضَمِّخٌ بطيبٍ وعليه جُبَّةٌ، وقال: فنظَر رسولُ اللهِ ﷺ ساعةً، ثم فجَأه الوحيُ، فأشارَ عمرُ إلى يعلى، أي: تعال، فجاء يعلى، فأدخلَ رأسَه، فإذا هو مُحمَرُّ الوجه، يغُطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: **«أينَ الذي سألني عنِ العُمرةِ آنفاً؟»** فذكر أمْرَهُ بنزْعِ الجُبَّة وغَسْل الطِّيب[1].

وهذا الحديث رواه جماعةٌ من طرقٍ عديدة، والكلام عليه في كتاب الحج، ولا تظهر مناسبةُ ما بينَه وبين هذه الترجمة ولا يكاد، ولو ذُكِرَ في الترجمة التي قبلها لكان أظهرَ وأبْيَنَ، والله أعلم.

جمع القرآن

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عُبيد بن السَّبَّاق، أنَّ زيد بن ثابت ﷺ قال: أرسل إليَّ أبو بكرٍ ـ مقتَلَ أهل اليمامة ـ فإذا عمرُ بنُ الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استَحَرَّ بقُرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحِرَّ القتْلُ بالقُرَّاءِ في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمُرَ بجَمْعِ القرآن. فقلتُ لعمر: كيفَ نفعلُ شيئاً لم يفعَلْهُ رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا واللهِ خيرٌ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجلٌ

(١) صحيح البخاري (١٥٣٦) و (١٧٨٩) و (١٨٤٧) و (٤٣٢٩) و (٤٩٨٥).

شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهمُكَ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ فَتَتَبَّعِ القرآنَ فاجمَعْه، فواللهِ لو كلَّفوني نقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيفَ تفعلون شيئاً لم يفعَلْهُ رسولُ الله ﷺ؟ قال: هو واللهِ خير. فلم يزَلْ أبو بكرٍ يُراجعني حتى شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ له صدْرَ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما. فتتَبَّعتُ القرآنَ أجمَعُه من العُسُبِ واللِّخافِ وصدور الرجال، ووجدتُ آخِرَ سورة التوبة مع أبي خُزيمةَ الأنصاري لم أجِدْها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانتِ الصُّحفُ عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عمر حياتَه، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر ﷺ[(١)].

وقد روى البخاريُّ هذا في غير موضعٍ من كتابه، ورواه الإمام أحمد، والتِّرمذي، والنسائي، من طرقٍ عن الزُّهري به[(٢)].

وهذا من أحسنِ وأجلِّ وأعظمِ ما فعله الصِّدِّيق ﷺ، فإنَّه أقامه الله بعد النبيِّ ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحدٍ بعده، قاتلَ الأعداءَ من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم، ونفذَ الجيوشَ وبعثَ البعوث والسرايا، وردَّ الأمرَ إلى نصابه بعد الخوف من تفرُّقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكَّنَ القارئُ من حِفْظه كلِّه، وكان هذا من سِرِّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فجمَعَ الصِّدِّيقُ الخيرَ، وكفَّ الشُّرور، ﷺ وأرضاه؛ ولهذا روى غيرُ واحدٍ من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقَبيصة، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: أعظمُ الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إنَّ أبا بكرٍ كان أولَ مَنْ جمعَ القرآن بين

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٧٩)و (٤٩٨٩) و (٧١٩١) و (٧٤٢٥)، ومسند أحمد (٥٧)، وسنن الترمذي (٣١٠٣)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٥).

اللوحين[١]. إسناده صحيح.

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب «**المصاحف**» : حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا عَبْدة، عن هشام، عن أبيه، أنَّ أبا بكرٍ هو الذي جمعَ القرآن بعد النبي ﷺ، يقول: ختمه[٢]. صحيح أيضاً[٣].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي تنبَّه لذلك لمَّا استحَرَّ القتْلُ بالقُرَّاء، أي: اشتدَّ القتلُ وكثُرَ في قُرَّاء القرآن يوم اليمامة، يعني يوم اليمامة، يعني يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه ومن بني حنيفة بأرض اليمامة في حديقة الموت، وذلك أنَّ مسيلمة التفَّ معه من المرتدين قريبٌ من مئة ألف، فجهَّزَ الصِّدِّيقُ لقتاله خالدَ بن الوليد في قريبٍ من ثلاثةَ عشَرَ ألفاً، فالتقَوا معهم، فانكشفَ الجيشُ الإسلاميُّ لكثرة مَنْ فيه من الأعراب، فنادى القُرَّاءُ من كبار الصحابة: يا خالد، يقولون: ميِّزْنا من هؤلاء الأعراب، فتميَّزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف، ثم صدَّقوا الحملة، وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادَون: يا أصحابَ سورةِ البقرة، فلم يزَلْ ذلك دأبُهم حتى فتح الله عليهم ووَلَّى جيشُ الكفر فارًّا، وأتبعَتْهُم السيوفُ المسلمة في أقفيتهم قتلاً وأسراً، وقتلَ اللهُ مسيلمة، وفرَّقَ شملَ أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام، ولكن قُتِلَ من القُرَّاء يومئذٍ قريبٌ من خمس مئةٍ ﷺ؛ فلهذا أشار عمر على الصِّدِّيق بأن يجمع القرآن؛ لئلا يذهبَ منه شيءٌ بسبب موت مَنْ يكونُ يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال، فإذا كُتِبَ وحُفِظَ صارَ ذلك محفوظاً فلا فَرْقَ بين حياةِ مَنْ بلَغَه أو موتِه، فراجَعَه الصِّدِّيقُ قليلاً ليثَّبتَ في الأمر، ثم وافقَه، وكذلك راجعهما زيدُ بن ثابت في ذلك، ثم صار إلى ما رأياه، ﷺ أجمعين، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٥٥ ـ ١٥٦ ، وابن سعد ٣/ ١٩٣ ، وابن أبي شيبة ٦/ ١٤٨ ، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢٨٠) ، وابن أبي داود في «المصاحف» (١٤) و (١٥) و (١٦) و (١٧) و (١٨) من طرق عن سفيان الثوري، به.

(٢) المصاحف (٢١) .

(٣) بل ضعيف؛ لانقطاع إسناده، فإن والد هشام ـ وهو عروة بن الزبير ـ لم يدرك أبا بكر.

ابن ثابت الأنصاري؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خَلاَّد، حدثنا يزيد، حدثنا مُبارك بن[١] فَضالة، عن الحسن، أنَّ عمر بن الخطاب سألَ عن آيةٍ من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، فقُتِلَ يوم اليمامة، فقال: إنَّا لله، فأمر بالقرآن فجُمِعَ، فكان أول مَنْ جمعَه في المصحف[٢]. هذا منقطع، فإن الحسن لم يدرك عمر، ومعناه: أشار بجمعه فجُمِعَ؛ ولهذا كان مهيمناً على حِفْظِه وجَمْعِه كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وَهْب، حدثنا عمر بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أنَّ عمر لمَّا جمعَ القرآنَ كان لا يقبَلُ من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شاهدان[٣].

وذلك عن أمر الصِّدِّيق له في ذلك، كما قال: [أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وَهْب، أخبرني ابنُ أبي الزِّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لمَّا استحرَّ القتْلُ بالقُرَّاء يومئذٍ فَرِقَ][٤] أبو بكر ﷺ أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتُباه[٥]. منقطعٌ حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: وجدتُ آخر سورة التوبة، يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] مع أبي خُزيمة الأنصاري، وفي رواية: مع خُزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجِدْها مع غيره، كتبوها عنه؛ لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادتَه بشهادتين في قصة الفَرَس التي ابتاعها رسولُ الله ﷺ من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خُزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ، فأمضى شهادتَه، وقبض الفرس من الأعرابي.

---

(١) تحرفت في النسخة الخطية إلى «عن»، والمثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٣٢).

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٣٣).

(٤) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأُثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

(٥) المصاحف لابن أبي داود (٢٣).

والحديث رواه أهل السنن[١] وهو مشهور.

وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، أنَّ أُبيَّ بنَ كعبٍ أملاها عليهم مع خُزيمة بن ثابت[٢].

وقد روى ابن وهب، عن عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أنَّ عثمانَ شهِدَ بذلك أيضاً[٣].

أما قول زيد بن ثابت: «فتَتَبَّعتُ القرآن أجمَعُه من العُسُب واللِّحاف وصدور الرجال»، وفي رواية: «من العُسُب والرِّقاع والأضلاع»، وفي روايةٍ: «من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال».

أما العُسُب فجمع عسيب، قال أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري: وهو من السَّعَفِ فويق الكَرَب، لم ينبت عليه الخُوص، وما نبت عليه الخُوصُ فهو السَّعَفُ.

واللِّخاف: جمع لَخْفة: وهي القطعة من الحجارة مُستَدِقَّة، كانوا يكتبون عليه وعلى العُسُبِ وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه، مما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ.

ومنهم من لم يكن يُحسِنُ الكتابةَ أو يثِقُ بحفظه، فكان يحفظه، فتلقَّاه زيد بن ثابت من هذا من عَسيبه، ومن هذا من لخافه، ومن صدر هذا، أي: من حفظه، وكانوا أحرصَ شيءٍ على أداء الأمانات، وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن رسول الله ﷺ أودَعَهم ذلك ليُبلِّغوه إلى مَنْ بعده، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٠٧)، وسنن النسائي ٧/ ٣٠٢.

(٢) أخرجه بمعناه مطولاً عن عبد الله بن أحمد في زوائده على «مسند أحمد» (٢١٢٢٦) من طريق عمر بن شقيق، عن أبي جعفر الرازي، به. وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر: واسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٣٣) عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، به. وإسناده ضعيف لانقطاعه، يحيى بن عبد الرحمن بن خاطب لم يلق عثمان بن عفان.

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ففعلَ صلواتُ الله وسلامُه عليه ما أُمرَ به؛ ولهذا سألَهم في حَجَّةِ الوداع يومَ عرفة على رؤوس الأشهاد والصحابة أوفَرَ ما كانوا مجتمعين، فقال: «**إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟**» فقالوا: نشهدُ أنَّكَ قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء وينكُبُها عليهم، ويقول: «**اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ، اللهمَّ اشهَدْ**». رواه مسلم عن جابر[١].

وقد أمر أمته أن يُبلِّغَ الشاهدُ الغائب[٢]، وقال: «**بلِّغوا عني ولو آية**[٣]» يعني: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آيةً واحدة فليؤدِّها إلى مَنْ وراءه، فبلِّغوا عنه ما أمرهم به، فأدَّوا القرآنَ قرآناً، والسُّنةَ سنةً، لم يَلْبِسوا هذا بهذا؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**من كتبَ عني سوى القرآن فلْيَمْحُه**[٤]» أي: لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه ألاَّ يحفظوا السُّنة ويروووها، والله أعلم.

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبقَ من القرآن ممَّا أداه الرسولُ ﷺ إليهم إلاَّ وقد بلَّغوه إلينا، ولله الحمدُ والمِنَّة، فكان الذي فعلَه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظَمِها، من حِفْظِهما كتابَ الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيءٌ بموت مَنْ تلقَّاه عن رسول الله ﷺ، ثم كانت عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال البخاري رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، أنَّ أنس بن مالك حدَّثه، أنَّ حذيفة بنَ اليمان قَدِمَ على عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكان يُغازي أهلَ الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع

---

(١) صحيح مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٩٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى. فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخُها في المصاحف ثم نردُّها إليكِ، فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمر زيدَ بن ثابتٍ وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أُنزِلَ بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحفَ في المصاحف ردَّ عثمانُ الصُّحفَ إلى حفصةَ، وأرسلَ إلى كلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحفٍ أن يُحرَق. قال ابن شهاب الزهري: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: سمع زيد بن ثابت قال: فقدتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنتُ أسمَعُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها، التمسناها فوجدناها مع خُزيمة بنِ ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف[١].

وهذا ـ أيضاً ـ من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فإنَّ الشيخين سبَقاه إلى حِفْظ القرآن أن يذهب منه شيءٌ وهو جمع الناس على قراءةٍ واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، وإنَّما رُوي عن عبد الله بن مسعود شيءٌ من التغضُّبِ بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمرَ أصحابَه بِغَلِّ مصاحفهم لمَّا أمر عثمانُ بِحَرْقِه ما عدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق، حتى قال علي بن أبي طالب ﷺ: لو لم يفعَلْ ذلك عثمان لَفعلتُه أنا[٢]. فاتَّفق الأئمةُ الأربعةُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ ﷺ على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين من**

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧ ـ ٤٩٨٨).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٤٠) وفي إسناده رجل مبهم.

بعدي»[١].

وكان السبب في هذا حذيفةُ بن اليمان ﷺ لمَّا كان غازياً في فتح أرمينية وأذربيجان، وكان قد اجتمع هناك أهلُ الشام والعراق، وجعل حذيفةُ يسمع منهم قراءاتٍ على حروفٍ شتَّى، ورأى منهم اختلافاً وافتراقاً، فلما رجع إلى عثمان أعْلَمه، وقال لعثمان: أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخةٌ من التوراة، والسامرة يخالفونهم في ألفاظٍ كثيرةٍ ومعانٍ أيضاً، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة، ولا حرف الهاء، ولا الياء، والنصارى ـ أيضاً ـ بأيديهم توارةٌ يُسمُّونها العتيقة، وهي مخالفةٌ لنُسخَتَي اليهود والسامرة.

أما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متَّى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة ـ أيضاً ـ اختلافاً كثيراً، وهذه الأناجيل الأربعة كلٌّ منها لطيفُ الحجم، منها ما هو قريبٌ من أربع عشرة ورقةً بخطٍّ متوسط، ومنها ما هو أكثرُ من ذلك إما بالنصف أو بالضعف، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه، وفيه شيءٌ قليل مما يدَّعون أنه كلام الله، وهي مع هذا مختلفةٌ كما قلنا، وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهَّرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه، وأرسل إلى حفصةَ أمِّ المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان؛ ليكتبَ ذلك في مصحفٍ واحد، ويُنفِذَه إلى الآفاق، ويجمعَ الناس على القراءةِ به وتَرْكِ ما سواه، ففعلتْ حفصة، وأمر عثمان هؤلاء الأربعة: وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كُتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ،

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية.

وعبد الله بن الزُّبير بن العوَّام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونُجبائهم علماً وعملاً وأصلاً وفضلاً، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، وكان كريماً جواداً مَمدحاً، وكان أشبهَ الناس لهجةً برسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، فجلس هؤلاء النفر يكتبون القرآن نُسخاً، وإذا اختلفوا في وضع الكتابة على أيِّ لغةٍ رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوه. وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، فتراجعوا إلى عثمان، فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإنَّ القرآن نزَلَ بِلُغَتِهم.

وكان عثمان ـ والله أعلم ـ رتَّبَ السُّورَ في المصحف، وقدَّم السبعَ الطِّوال، وثنَّى بالمِئين؛ ولهذا روى ابن جرير، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث غير واحدٍ من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: قلتُ لعثمان بن عفان: ما حملَكم أن عمَدْتُم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتُم بينها ولم تكتبوا بينها سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموها في السبع الطُّوَل؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسولُ الله مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السُّوَرُ ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعضَ مَنْ كان يكتب فيقول: **«ضعوا هذه الآيات في السور التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا»** فإذا أُنزلت عليه الآية فيقول: **«ضعوا هذه الآية في السور التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا»** وكانتِ الأنفالُ من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قِصَّتُها شبيهةً بقِصَّتِها، وحسِبتُ أنها منها، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يُبيِّنْ لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قَرَنْتُ بينهما ولم أكتب بينهما سطر **«بسم الله الرحمن الرحيم»** فوضعتُها في السبع الطُّوَل [1].

---

(١) هذا حديث إسناده ضعيف ومتنه منكر، في إسناده يزيد الفارسي، وهو في عداد المجهولين، وقد تفرد برواية هذا الحديث، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث في «مسند أحمد» (٣٩٩): فيه تشكيك في معرفة سورة القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءةً وسماعاً وكتابةً في المصاحف، وفيه =

ففُهِم من هذا الحديث أن ترتيبَ الآيات والسُّوَر أمرٌ توفيقيٌّ مُتلقًّى عن الرسول ﷺ، وأما ترتيب السُّور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ؛ ولهذا ليس لأحدٍ أن يقرأ القرآن إلا مرتَّباً، فإن نكَسه أخطأ خطأً كبيراً.

وأما ترتيب السُّور فمستحبٌّ؛ اقتداءً بعثمان ﷺ، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً كما قرأ عليه الصلاة والسلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، وتارةً بسبِّح وهل أتاك حديث الغاشية، فإن فرَّقَ جاز، كما صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة. رواه مسلم عن أبي واقد[١].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ألم السجدة، وهل أتى على الإنسان[٢].

وإن قدَّمَ بعضَ السُّوَر على بعضٍ جازَ أيضاً، فقد روى حذيفةُ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران. أخرجه مسلم[٣].

وقرأ عمرُ في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف[٤].

ثم إن عثمان ردَّ الصحف إلى حفصة، فلم تزَلْ عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تُعْطِه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها؛ لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف التي نفَذَها عثمان إلى الآفاق: مصحفاً إلى أهل مكة،

= تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث. والحديث في تفسير الطبري ١/ ٢٤٥ وسنن أبي داود (٧٨٦) و (٧٨٧)، وسنن الترمذي (٣٠٨٦)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٠٧).

(١) صحيح مسلم (٨٩١)، وتحرف في النسخة الخطية اسم أبي واقد إلى أبي قتادة.

(٢) صحيح البخاري (٨٩١)، وصحيح مسلم (٨٨٠).

(٣) صحيح مسلم (٧٧٢).

(٤) أخرج الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١٨٠ عدة روايات لهذا الأثر عن عمر، فجاء في بعضها أنه كان يقرأ يوسف والحج، وفي أخرى: بني إسرائيل والكهف، أو الكهف وبني إسرائيل. وفي رواية أيضاً: الكهف ويوسف.

ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفاً. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السِّجِستاني، سمعه يقوله[١]. وصحَّح القرطبي أنه إنما نفَذَ إلى الآفاق أربعة مصاحف ـ وهذا غريب ـ وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يُحرَقَ؛ لئلا تختلفَ قراءاتُ الناس في الآفاق، وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك، ولم ينكره أحدٌ منهم، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالؤوا عليه وقتلوه ـ قاتلهم الله ـ وفي ذلك جملةُ ما أنكروه مما لا أصل له، وأما سادات المسلمين من الصحابة، ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلُّهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغُنْدَر، عن شعبة، عن عَلْقَمةَ بنِ مَرْثَد، عن رجل، عن سُوَيد بن غَفَلة: قال عليٌّ حين حرق عثمانُ المصاحف: لو لم يصنَعْه هو لصنعتُه[٢].

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: أدركتُ الناس متوافرين حين حرَقَ عثمانُ المصاحفَ فأعجَبَهم ذلك، أو قال: لم يُنكِرْ ذلك منهم أحد[٣]. وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا ثابت بن عُمارة الحنفي، قال: سمعت غُنيمَ بن قيس المازني قال: قرأتُ القرآن على الحرفين جميعاً، واللهِ ما يسُرُّني أنَّ عثمانَ لم يكتُبِ المصحف، وأنه وُلِدَ لكلِّ مسلمٍ كلما أصبح غلامٌ، فأصبح له مثلُ ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر، ولِمَ؟ قال: لو لم يكتُبْ عثمانُ المصحف لطَفِقَ الناسُ يقرؤون الشِّعر[٤].

---

(١) «المصاحف» لابن أبي داود (١١٦).

(٢) تقدم تخريجه ص٣٠.

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٤١).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٤٢).

حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني عِمران بن حُدَير، عن أبي مِجْلَزٍ قال: لولا أنَّ عثمانَ كتبَ القرآن لألفَيتَ الناسَ يقرؤون الشِّعر[١].

حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعتُ ابنَ مهدي يقول: خَصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكرٍ ولا لعمر: صبرُه نفسَه حتى قُتِلَ مظلوماً، وجَمْعُه الناسَ على المصحف[٢].

وأما عبد الله بن مسعود ﷺ؛ فقد قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن خُمَير بن مالك قال: لمَّا أمر عثمان بالمصاحف ـ يعني بتحريقها ـ ساء ذلكَ عبدَ الله بن مسعود وقال: منِ استطاعَ منكم أن يَغُلَّ مصحفاً فليَغْلُلْ، فإنه من غلَّ شيئاً جاء بما غَلَّ يوم القيامة. ثم قال عبد الله: لقد قرأتُ القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورةً وزيدٌ صبيٌّ، أفأتركُ ما أخذتُ من فِي رسول الله ﷺ[٣].

وقال أبو بكر: حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا أبو شهاب، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: خطبَنا ابنُ مسعودٍ على المنبر فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، غُلُّوا مصاحِفَكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأتُ القرآنَ من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإنَّ زيد بن ثابت لَيأتي مع الغلمان له ذؤابتان، واللهِ ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلمُ في أيِّ شيءٍ نزل، وما أحدٌ أعلمُ بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلُغه الإبلُ أعلمَ بكتاب الله مني لأتيتُه. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلستُ في الحِلَقِ، فما أحدٌ يُنكِرُ ما قال[٤]. أصل هذا مُخرَّجٌ في

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٤٤)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٥١) من طريق عبد الله بن رجاء، عن إسرائيل، به. والأثر بتمامه حسن له طرق عدة، انظرها في «مسند أحمد» (٣٦٩٧).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٥٥)، وإسناده حسن بالمتابعات.

«الصحيحين» وعندهما: ولقد علِمَ أصحاب محمدٍ أني أعلمُهم بكتاب الله[١]. وقول أبي وائل: «فما أحدٌ ينكر ما قال» يعني: من فضله وعلمه وحفظه، والله أعلم.

وأما أمْرُه بغَلِّ المصاحف وكتمانها، فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قدمتُ الشام فلقيتُ أبا الدرداء، فقال: كنا نعُدُّ عبدَ الله جباناً، فما باله يواثبُ الأمراء[٢].

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضا عبد الله بن مسعود بجمع عثمانَ المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العِجْلي قالا: حدثنا أبو أسامة، حدثني زهير، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فُلْفُلةَ الجُعْفي قال: فزعتُ فيمن فزِعَ إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجلٌ من القوم: إنَّا لم نأتِكَ زائرين، ولكنا جئنا حين راعَنا هذا الخبر، فقال: إنَّ القرآن أُنزِلَ على نبيكم من سبعة أبواب، على سبعة أحرف ـ أو حروف ـ وإن الكتاب قبلكم كان ينزل ـ أو نزل ـ من بابٍ واحدٍ، على حرفٍ واحد[٣]. وهذا الذي استدلَّ به أبو بكرٍ رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوعٌ عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

وقال أبو بكر أيضاً: حدثنا عمي، حدثنا ابن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناسُ، عهدُكم بنبيكم منذُ ثلاثَ عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أُبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: واللهِ ما تُقيمُ قراءتك، وأعزِمُ على كلِّ رجلٍ منكم ما كان معه من كتاب الله لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٠٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٢).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (٦٥) من طريق عبد السلام بن حرب، عن الأعمش، به. وإسناده صحيح.

(٣) المصاحف لابن أبي داود (٦٦)، وإسناده ضعيف لجهالة عثمان بن حسان. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٤٢٥٢).

من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم: لَسمعتَ رسولَ الله ﷺ أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ عثمانُ من ذلك قال: من أكتَبُ الناسُ؟ قالوا: كاتبُ رسول الله ﷺ زيد بن ثابت. قال: فأيُّ الناس أعرَبُ؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليُمْلِ سعيد، وليكتُبْ زيد. فكتب زيدٌ مصاحفَ ففرَّقها في الناس، فسمعتُ بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: قد أحسن[١]. إسناده صحيح.

وقال أيضاً: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أبو بكر، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لمَّا أرادَ عثمانُ أن يكتُبَ المصاحفَ جمع له اثني عشَرَ رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الرَّبْعَة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، وكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخَّره. قال محمد: فقلت لكثير ـ وكان فيهم فيمن يكتب ـ: هل تدرون لِمَ كانوا يؤخِّرونه؟ قال: لا. قال محمد: فظننتُ ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم [عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله[٢]. صحيح أيضاً][٣].

قلت: الرَّبْعَةُ: هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضي الله عنها، فلما جمعَها عثمان ﷺ في المصحف، ردَّها إليها، ولم يحرقها في جملة ما حرقه [ممَّا سواها، إلا أنها هي بعينها الذي كتبه، وإنما رتَّبه، ثم كان قد عاهدها][٣] على أن يردَّها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها، وتأوَّل في ذلك ما تأوَّل عثمان، كما رواه أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله، أن

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٨٢).

(٢) المصاحف لابن أبي داود (٨٩).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأثبت من كتاب المصاحف.

مروان كان يرسل إلى حفصة يسألُها الصُّحفَ التي كُتب منها القرآن، فتأبى حفصةُ أن تعطيه إياها. قال سالم: فلما توفيت حفصةُ ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليُرسِلَنَّ إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبدُ الله بنُ عمر، فأمر بها مروان فشُقِّقت، وقال مروان: إنما فعلتُ هذا لأن ما فيها قد كُتِبَ وحُفِظَ بالمصحف، فخشيتُ إن طال بالناس زمانٌ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتابٌ، أو يقول: إنه كان شيءٌ منها لم يُكتب[1]. إسناد صحيح.

وأما ما رواه الزُّهري، عن خارجة، عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إيَّاها في سورتها، فذِكْرُه لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنَّما هذا كان حالَ جَمْعِ الصِّدِّيق الصحفَ كما جاء مصرَّحاً به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عُبيد بن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: «فألحقناها في سورتها من المصحف» وليست هذه الآية ملحقةً في الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القُرُبات التي بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حَفِظا على الناس القرآن، جمعاه لئلا يذهب منه شيء، وعثمان ﷺ جمَعَ قراءات الناس على مصحفٍ واحدٍ، ووضَعَه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريلُ رسولَ الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه الصلاة والسلام، فإنه عارضه به عامئذ مرتين؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لمَّا مرض: **«وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي»** أخرجاه في **«الصحيحين»**[2].

وقد رُوِيَ أنَّ علياً ﷺ أراد أن يجمع القرآنَ بعد رسول الله ﷺ مرتباً بحسب نزوله أولاً فأولاً، كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا ابن فُضَيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لمَّا توفي النبيُّ ﷺ أقسَمَ على ألاَّ يرتدي برداءٍ إلاَّ لجمعةٍ حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسلَ إليه

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٢٨٥ ـ ٦٢٨٦)، وصحيح مسلم (٢٤٥٠).

أبو بكرٍ ﷺ بعد أيام: أكَرِهْتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا واللهِ، إلا أني أقسمتُ ألاَّ ارتدي برداءٍ إلاَّ لجمعة. فبايعه ثم رجع. هكذا رواه، وفيه انقطاع، ثم قال: لم يذكُرِ المصحفَ أحدٌ إلا أشعث، وهو ليِّن الحديث، وإنما رووا: حتى أجمَعَ القرآن، يعني: أتمَّ حِفْظَهن، فإنه يُقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن[1].

قلت: وهذا الذي قاله أبو بكر أظهَرُ ـ والله أعلم ـ فإنَّ علياً لم يُنقَلْ عنه مصحفٌ على ما قيل ولا غيرُ ذلك، ولكن قد توجد مصاحفُ على الوضع العثماني، يقال: إنها بخطِّ عليٍّ ﷺ، وفي ذلك نظر، فإنه في بعضها: كتبه علي بن أبي طالب، وهذا لحن من الكلام، وعليٌّ ﷺ من أبعد الناس عن ذلك، فإنه ـ كما هو المشهور عنه ـ هو أول من وضع علم النحو، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤَلي، وأنه قسَمَ الكلامَ إلى اسمٍ وفعلٍ وحرف، وذكر أشياء أُخَر تممَّها أبو الأسود بعده، ثم أخذه الناس عن أبي الأسود فوسَّعوه ووضَّحوه، وصار علماً مستقلاً.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بمدينة طبرية، ثم نُقِلَ منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمس مئة، وقد رأيتُه كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً، بخطٍّ حسنٍ مُبينٍ قويٍّ، بحبرٍ مُحكَمٍ، في رَقٍّ أظنُّه من جلود الإبل ـ والله أعلم ـ زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً.

فأما عثمان ﷺ، فما يُعرَفُ أنه كتب بخطِّه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه، ربما وغيره، فنُسبت إلى عثمان؛ لأنها بأمره وإشارته، ثم قُرئت على الصحابة بين يدَي عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق، ﷺ.

وقد قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا علي بن حرب الطائي، حدثنا قريش بن أنس، حدثنا سليمان التَّيمي، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيدٍ مولى بنى أسيد، قال: لمَّا دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده، فوقعت على: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ

(١) المصاحف لابن أبي داود (٣١).

﴿ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فمدَّ يدَه وقال: واللهِ إنها لأولُ يدٍ خطَّتِ المُفصَّل[١].

وقال أيضاً: حدثنا أبو طاهر، حدثنا ابن وَهْب قال: سألتُ مالكاً عن مصحف عثمان، فقال لي: ذَهَب[٢]. يَحتَمِلُ أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده، ويَحتَمِلُ أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة، والله أعلم.

قلتُ: وقد كانتِ الكتابةُ في العرب قليلةً جداً، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره، أن بشر بن عبد الملك أُكَيدر دومة تعلم الخطَّ من الأنبار، ثم قدِمَ مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، فعلَّمه حربَ بن أمية وابنَه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلَّمه معاوية من عمه سفيان بن حرب، وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قومٌ من طيِّئٍ من قريةٍ هناك يُقال لها: بقية، ثم هذَّبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزُّهري، حدثنا سفيان، عن مجالد[٣]، عن الشَّعبي قال: سألْنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: [من أهل الحيرة. وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا:][٤] من أهل الأنبار[٥].

قلت: والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابةُ المكتوفة، ثم هذَّبها أبو علي مقلة الوزير، وصار له في ذلك منهجٌ وأسلوبٌ في الكتابة، ثم قرَّبها علي بن هلال

---

(١) المصاحف لابن أبي داود (١)، وإسناده ضعيف، فيه قريش بن أنس وقد اختلط، والصحيح في هذا الأثر ما رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٦٦) وغيره عن طريق معتمر، عن أبيه سليمان التيمي، به، وليس فيه قول عثمان.

(٢) المصاحف لابن أبي داود (١١٩)، وإسناده صحيح.

(٣) تحرف في النسخة الخطية إلى «مجاهد»، والصواب ما أثبتُّه من كتاب المصاحف.

(٤) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من كتاب المصاحف.

(٥) المصاحف لابن أبي داود (١٢)، وإسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد الهمداني.

البغدادي المعروف بابن البواب، وسلك الناس وراءه، وطريقته في ذلك واضحةٌ جيدة، والغرض أن الكتابة لمَّا كانت في ذلك الزمان لم تُحكَمْ جيداً، وقع في كتابه المصاحف اختلافٌ في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنَّفَ الناس في ذلك، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلاَّم رحمه الله في كتابه «**فضائل القرآن**»[١]، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله[٢]، فبوَّبا على ذلك، وذكر قطعةً صالحةً هي من صناعة القرآن، ليست مقصدنا ها هنا؛ ولهذا نصَّ الإمام مالك رحمه الله على أنه لا توضَعُ المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام. ورخَّص غيره في ذلك، واختلفوا في الشكل والنقط، فمِنْ مُرخِّصٍ، ومِنْ مانعٍ، فأما كتابةُ السُّوَر وآياتِها والتعشيرِ والأجزاءِ والأحزابِ فكثيرٌ في مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح.

ثم قال البخاري:

ذِكْرُ كُتَّاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم

وأورد فيه من حديث الزُّهري، عن ابن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق قال له: وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه للقرآن[٣]، وقد تقدم، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥][٤]، ولم يذكُرِ البخاري أحداً من الكُتَّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقَعْ له حديثٌ يورده سوى هذا، والله أعلم. وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كُتَّابه عليه السلام.

ثم قال البخاري رحمه الله:

---

(١) ص٢٣٧ ـ ٢٤٣.

(٢) في كتابه «المصاحف» ٢/ ٤٩٤ ـ ٥٤٨.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٩٠).

أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف

حدثنا سعيد بن عُفَير، حدثنا اللَّيث، حدثني عُقيل، عن ابن شهاب، قال: حدثني عُبيد الله بن عبد الله، أن عبد الله بن عباس حدَّثه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أقرأني جبريلُ على حرفٍ فراجعتُه، فلم أَزَلْ أستزيدُه ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[(١)].

وقد رواه ـ أيضاً ـ في بدء الخلق، ومسلم من حديث يونس، ومسلم ـ أيضاً ـ من حديث معمر، كلاهما عن الزُّهري بنحوه[(٢)].

ورواه ابن جرير من حديث الزُّهري، به. ثم قال الزُّهري: بلغني أنَّ تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا تختلف في حلالٍ ولا في حرام[(٣)].

وهذا مبسوطٌ في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاَّم حيث قال: حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد، كلاهما عن حُميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أُبيٍّ ابن كعب قال: ما حكَّ في صدري شيءٌ منذ أسلمت، إلا أنني قرأتُ آيةً وقرأها آخر غير قراءتي، فقلتُ: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فقال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، أقرأتَني آيةَ كذا وكذا؟ قال: **«نعم»**. فقال: **«إن جبريل وميكائيل أتَياني، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرإ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزِدْه، حتى بلغ سبعة أحرفٍ، وكلُّ حرفٍ شافٍ كافٍ»**[(٤)].

وقد رواه النسائي من حديث يزيد ـ وهو ابن هارون ـ ويحيى بن سعيد القطان،

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩١).

(٢) صحيح البخاري (٣٢١٩)، وصحيح مسلم (٨١٩).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٤.

(٤) فضائل القرآن ص٢٠١، وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٠٩٣) عن يحيى بن سعيد، به. وانظر تمام تخريجه هناك.

كلاهما عن حُميد الطويل، عن أنس، عن أُبيٍّ بن كعب بنحوه[١].

وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزَّعفراني ويحيى بن أيوب، كلُّهم عن حُميد، به[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حُميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أُبيٍّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف»**[٣] فأدخل بينهما عبادة بن الصامت.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبيٍّ بن كعب، قال: كنتُ في المسجد، فدخل رجلٌ، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ آخَرُ فقرأ قراءةً سوى قراءةِ صاحبِه، فقُمنا جميعاً فدخَلْنا على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ هذا، فقرأ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبه، فقال لهما النبيُّ ﷺ: **«اقرآ»**، فقرآ، فقال: **«أصبتُما»** فلمَّا قال لهما النبيُّ ﷺ الذي قال كبُرَ عليَّ، ولا إذْ كنتُ في الجاهلية، فلمَّا رأى الذي غشِيني ضربَ في صدري فَفِضْتُ عرقاً، وكأنما أنظر إلى اللهِ فرَقاً، فقال: **«يا أُبيُّ، إنَّ ربي أرسل إليَّ أنِ اقرأِ القرآنَ على حرف، فرددتُ إليه أنْ هوِّنْ على أمتي، فأرسل إليَّ أنِ اقرأْهُ على حرفين، فرددتُ إليه أن هوِّنْ على أمتي، فأرسلَ إليَّ أنِ اقرأْهُ على سبعةِ أحرف، ولكَ بكلِّ ردَّةٍ مسألةٌ تسألُنيها»**. قال: **«قلتُ: اللهمَّ اغفِرْ لأُمتي، اللهمَّ اغفِرْ لأُمتي، وأَخَّرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغَبُ إليَّ فيه الخلقُ حتى إبراهيم عليه السلام»**[٤].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٧٩٨٦).

(٢) وروي ـ أيضاً ـ من طرق أخرى كما في «مسند أحمد» (٢١٠٩٣) و (٢١١٣٣) و (٢١١٣٤).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٥، وإسناده صحيح، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحـ ـد (٢١٠٩٢) عن عفان، عن حماد بن سلمة، به.

(٤) مسند أحمد (٢١١٧١).

وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد، به[١].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن جده، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلتُ: خفِّفْ عن أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرفٍ من سبعة أبواب الجنة، كلُّها شافٍ كافٍ»**[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، عن ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن عُبيد الله بن عمر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعب أنه قال: سمعتُ رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالفُ قراءتي، ثم سمعتُ آخرُ يقرؤها بخلاف ذلك، فانطلقتُ بهما إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذين يقرآن في سورة النحل فسألتُهما: مَنْ أقرأكُما؟ فقالا: رسولُ الله ﷺ، فقلتُ لأذهبنَّ بكما إلى رسول الله إذ خالفتُما ما أقرأني رسول الله ﷺ، فقال رسول ﷺ لأحدهما: **«اقرأ»** فقرأ، فقال: **«أحسنت»** ثم قال للآخر: **«اقرأ»** فقرأ، فقال: **«أحسنت»**. قال أُبيّ: فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمرَّ وجهي، فعرفَ ذلك رسولُ الله ﷺ في وجهي، فضرب يدَه في صدري، ثم قال: **«اللهمَّ اخسَأ الشيطانَ عنه، يا أُبيُّ، أتاني آتٍ من ربي فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، ثم أتاني الثانيةَ فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي، ثم أتاني الثالثةَ فقال: مثلَ ذلك، وقلتُ له مثلَ ذلك، ثم أتاني الرابعةَ فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعةِ أحرف، ولكَ بكلِّ ردَّةٍ مسألة، فقلت: يا ربِّ، اللهمَّ اغفِرْ لأمتي، يا ربِّ اغفِرْ لأمتي، واختبأتُ الثالثةَ شفاعةً لأمتي يوم القيامة»**[٣]. إسناده صحيح.

---

(١) صحيح مسلم (٨٢٠).

(٢) تفسير الطبري ١/١٦ ـ ١٧. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (٢١١٧١).

(٣) تفسير الطبري ١/١٧ ـ ١٨.

قلت: وهذا الشكُّ الذي حصل لأُبيٍّ في تلك الساعة هو ـ واللهُ أعلم ـ السببُ الذي لأجله قرأ عليه رسولُ الله ﷺ قراءةَ إعلامٍ وبلاغٍ ودواءٍ لما كان حصل له سورةَ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ إلى آخرها؛ لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أُنزِلَتْ مرجِعَه عليه السلام من الحديبيَّة على عمر بن الخطاب، وذلك لما كان تقدَّم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن أُبيِّ بن كعب، أنَّ رسول الله ﷺ كان عند أضاةِ بني غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على حرف. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم أتاه الثانيةَ فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على حرفين. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم جاءه الثالثةَ قال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على ثلاثة أحرف. قال: **«أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، فإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك»**. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتكَ القرآن على سبعة أحرف، فأيُّما حرفٍ قرؤوا عليه فقد أصابوا[(١)].

وأخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، من رواية شعبة، به[(٢)].

وفي لفظٍ لأبي داود عن أُبيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أُبيُّ، إني أُقرِئْتُ القرآنَ فقيل لي: على حرفٍ أو حرفين؟ فقال الملَكُ الذي معي: قُلْ: على حرفين. قلتُ: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قُلْ: على ثلاثة. قلت: على ثلاثة. حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلاَّ**

(١) تفسير الطبري ١/ ١٧ .

(٢) صحيح مسلم (٨٢١) ، وسنن أبي داود (١٤٧٨)، وسنن النسائي ٢/ ١٥٢ .

شافٍ كافٍ، إن قلتَ: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختِمْ آيةَ عذابٍ برحمةٍ، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب»[١].

وقد روى ثابت بن قاسم نحواً من هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[٢]، ومن كلام ابن مسعود ﷺ نحو ذلك[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن علي الجُعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زِرّ، عن أُبيٍّ قال: لقي رسولُ الله ﷺ جبريلَ عند أحجار المِراء، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: **«إني بُعِثتُ إلى أمةٍ أمِّيين، فيهم الشيخ العاسي، والعجوز الكبيرة، والغلام»** قال: فمُرْهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف[٤].

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ، [عن أُبيٍّ بن كعب، به. وقال: حسن صحيح[٥].

وقد رواه أبو عبيد عن أبي النَّضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ، عن حُذيفة، أنَّ رسولَ الله لقي جبريلَ عند أحجار المِراء، فذكر الحديث[٦]، والله أعلم.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان، عن حماد، عن عاصم، عن زِرّ،][٧] عن حُذيفة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لقيتُ جبريل عند أحجار المِراء، فقلتُ: يا جبريل، إني أُرسِلتُ إلى أمةٍ أُميَّة؛ الرجل، والمرأة، والغلام، والجارية، والشيخ العاسي،**

---

(١) سنن أبي داود (١٤٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٣٩٠) من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، به.

(٣) وقد تقدم ص٣٦.

(٤) مسند أحمد (٢١٢٠٤)، وهو حديث صحيح.

(٥) سنن الترمذي (٢٩٤٤).

(٦) فضائل القرآن ص٢٠٢.

(٧) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

الذي لم يقرأ كتاباً قطُّ، فقال: إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعة أحرف»[١].

وقال أحمد أيضاً: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن رِبْعي بن حِراش، حدثني مَنْ لم يكذِبْني ـ يعني حُذيفةَ ـ قال: لقي النبيُّ ﷺ جبريلَ عند أحجار المِراء فقال: إنَّ أمتكَ يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمَنْ قرأ منهم على حرفٍ فليقرأْ كما عُلِّمَ، ولا يرجِعْ عنه. وقال عبد الرحمن: إن في أمتك الضعيف، فمن قرأ على حرفٍ فلا يتحوَّلْ منه إلى غيره رغبةً عنه[٢]. وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

حديثٌ آخر في معناه عن سليمان بن صُرَد: قال ابن جرير: حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّي، حدثنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرد ـ يرفعه ـ قال: **«أتاني ملكان، فقال أحدهما: اقرأ. قال: على كم؟ قال: على حرف. قال: زِدْه، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**[٣].

ورواه النسائي في **«اليوم والليلة»** عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام، عن إسحاق الأزرق، عن العَوَّام بن حَوْشَب، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرَد قال: أتى أبيُّ بنُ كعبٍ رسولَ الله ﷺ برَجُلين اختلفا في القراءة، فذكر الحديث[٤].

وهكذا رواه أحمد بن مَنيع، عن يزيد بن هارون، عن العوَّام بن حَوْشَب، به.

ورواه أبو عُبيد، عن يزيد بن هارون، عن العوَّام، عن أبي إسحاق، عن سليمان ابن صُرَد، عن أُبيٍّ أنه أتى النبيَّ ﷺ برَجُلين فذكره[٥].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي

---

(١) مسند أحمد (٢٣٣٩٨) «العاسي» من عَسَا، إذا كبِرَ وأسَنَّ. المعجم الوسيط» (عسَوَ).

(٢) مسند أحمد (٢٣٢٧٣) و (٢٣٤١٠).

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٤.

(٤) سنن النسائي الكبرى (١٠٥٠٦).

(٥) فضائل القرآن ص٢٠٢.

إسحاق، عن فُلان العبدي ـ قال ابن جرير: ذهبَ عني اسمُه ـ عن سليمان بن صُرَد، عن أبي بن كعب قال: رِحْتُ إلى المسجد، فسمعتُ رجلاً يقرأُ، فقلت: مَنْ أقرأَكَ؟ قال: رسولُ الله ﷺ، فانطلقتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: استقرِئْ هذا. قال: فقرأ، فقال: «**أحسنت**» قال: قلتُ: إنك أقرأتني كذا وكذا! فقال: «**وأنتَ قد أحسنت**». فقلت: قد أحسنتَ قد أحسنتَ. قال: فضربَ بيده على صدري ثم قال: «**اللهمَّ أذهِبْ عن أُبيٍّ الشَّكَّ**». قال: فَفِضْتُ عرقاً، وامتلأ جوفي فَرقاً. قال: ثم قال: «**إنَّ الملَكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده. قال: قلت: زدني. فقال: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعةَ أحرف، فقال: اقرأه على سبعة أحرف**»[1].

وقد رواه أبو عُبيد، عن حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن شُتَير العبدي، عن سليمان بن صُرَد عن أُبيٍّ، عن النبيِّ ﷺ بنحو ذلك[2].

ورواه أبو داود، عن أبي داود الطيالسي، عن همَّام، عن قَتادة، عن يحيى بن يَعْمَر، عن سليمان بن صُرَد، عن أُبيِّ بنِ كعب بنحوه[3].

فهذا الحديث محفوظٌ من حيث الجملة عن أُبيِّ بن كعب، والظاهر أنَّ سليمان ابن صُرَد الخزاعي شاهدٌ على ذلك، والله أعلم.

حديثٌ آخر عن أبي بَكرة: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال جبريل: اقرإِ القرآنَ على حرفٍ واحد، فقال ميكائيل: استزِدْه، فقال: اقرأ على سبعة أحرف، كلُّها شافٍ كافٍ، ما لم تختِمْ آيةَ رحمةٍ بآيةِ عذاب، أو آيةَ عذابٍ برحمة**»[4].

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٥ .

(٢) فضائل القرآن ص٢٠٢ .

(٣) سنن أبي داود (١٤٧٧) .

(٤) مسند أحمد (٢٠٤٢٥) ، وهو حديث صحيح لغيره.

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب، عن زيد بن الحُباب، عن حماد بن سلمة، به. وزاد في آخره: كقولك: هلُمَّ وتعالَ[١].

حديثٌ آخر عن سمرة: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز وعفان، كلاهما عن حماد ابن سلمة، حدثنا قَتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف»**[٢]. إسناد صحيح، ولم يخرجوه[٣].

حديثٌ آخر عن أبي هريرة: قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عِياض، حدثني أبو حازم، عن أبي سلمة ـ لا أعلمه إلا عن أبي هريرة ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«نزلَ القرآنُ على سبعة أحرف، مِراءٌ في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما علِمتُم منه فاعلموا، وما جهلتم منه فرُدُّوه إلى عالمه»**[٤].

ورواه النَّسائي عن قُتيبة، عن أبي ضمرة أنس بن عِياض، به[٥].

حديثٌ آخر عن أم أيوب: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عُبيد الله ـ وهو ابن أبي يزيد ـ عن أبيه، عن أم أيوب ـ يعني امرأة أبي أيوب ـ الأنصارية، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف، أيها قرأتَ أجزأكَ»**[٦]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ[٧]، ولم يخرِّجه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة.

---

(١) تفسير الطبري ١/١٨ و ٢٢، والزيادة ضعيفة لتفرد علي بن زيد بن جدعان بها، وهو ضعيف لا يحتمل تفرده.

(٢) مسند أحمد (٢٠١٧٩) عن بهز، و(٢٠٢٦٢) عن عفان، وروايته بلفظ: «ثلاثة أحرف» بدلاً من «سبعة أحرف».

(٣) بل إسناده ضعيف لانقطاعه، فالحسن ـ وهو البصري ـ لم يسمع من سمرة سوى حديث واحد في العقيقة. لكن الحديث له شواهد كثيرة يتصحح بها، فهو صحيح لغيره.

(٤) مسند أحمد (٧٩٨٩)، وإسناده صحيح.

(٥) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٣).

(٦) مسند أحمد (٢٧٤٤٢).

(٧) بل إسناده ضعيف لجهالة أبي يزيد والد عبيد الله، لكن الحديث له شواهد يتصحح بها، فهو صحيح لغيره.

حديث آخر عن أبي جُهيم: قال أبو عُبيد: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خُصَيفة، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي ـ وقال غيره: عن بُسر بن سعيد ـ عن أبي جُهيم الأنصاري، أنَّ رجلين اختلفا في آيةٍ من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقَّاها من رسول الله ﷺ، فمشَيا جميعاً حتى أتَيا رسولَ الله ﷺ، فذكر أبو جُهيم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا تمارَوا، فإن مراءً فيه كفر**»[1]. هكذا رواه أبو عُبيد على الشك.

وقد رواه الإمام أحمد على الصواب، فقال: حدثنا أبو سلمة الخُزاعي، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني يزيد بن خُصَيفة، أخبرني بُسْر بن سعيد، حدثني أبو جُهَيم، أنَّ رجلين اختلفا في آيةٍ من القرآن، فقال هذا: تلقَّيتُها من رسول الله ﷺ، وقال هذا: تلقَّيتُها من رسول الله ﷺ، فسألا النبيَّ ﷺ، فقال: «**القرآن يُقرأ على سبعة أحرف، فلا تَماروا في القرآن، فإنَّ مراءً في القرآن كفر**»[2]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ ـ أيضاً ـ ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن اللَّيث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بُسر بن سعيد، عن أبي قيس ـ مولى عمرو بن العاص ـ أنَّ رجلاً قرأ آيةً من القرآن، فقال له عمرو ـ يعني ابن العاص ـ: إنما هي كذا وكذا، بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتَياه، فذَكَرا ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأيُّ ذلك قرأتُم أصبتُم، فلا تمارَوا في القرآن، فإن مِراءً فيه كفر**»[3].

ورواه الإمام أحمد، عن أبي سلمة الخُزاعي، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن بُسْر

---

(١) فضائل القرآن ص٢٠٢ .

(٢) مسند أحمد (١٧٥٤٢) .

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٢ .

ابن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، به نحوه، وفيه: **«فإنَّ المراءَ فيه كفر، أو إنه الكفر به»**[١]. وهذا ـ أيضاً ـ حديثٌ جيد.

حديثٌ آخر عن ابن مسعود: قال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وَهْب، أخبرني حَيْوة بن شُرَيح، عن عُقَيل بن خالد، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«كان الكتاب الأول نزَلَ من بابٍ واحدٍ وعلى حرفٍ واحدٍ، ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ وعلى سبعة أحرف: زاجرٍ، وآمرٍ، وحلالٍ، وحرامٍ، ومُحكَمٍ، ومتشابهٍ، وأمثالٍ، فأحِلُّوا حلالَه، وحرِّموا حرامَه، وافعلوا ما أُمِرتُم به، وانتَهُوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كلٌّ من عند ربِّنا»**[٢].

ثم رواه عن أبي كُرَيب، عن المُحاربي، عن ضمرة بن حبيب، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود من كلامه، وهو أشبه، والله أعلم.

فصـــل

قال أبو عُبيد: قد تواترت هذه الأحاديث كلُّها عن الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان، عن حماد بن سلمة، عن قَتادة، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُنْدُب، عن النبيِّ ﷺ قال: **«نزَلَ القرآنُ على ثلاثة أحرف»**[٣].

قال أبو عُبيد: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة؛ لأنها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغاتٍ متفرقةٍ في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغةٍ أخرى

---

(١) مسند أحمد (١٧٨٢١).

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٠.

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٣، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٢٠٢٦٢) عن عفان، به. وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن ـ وهو البصري ـ لم يسمع من سمرة سوى حديث واحد في العقيقة.

سواهما، كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك بيِّنٌ في أحاديثَ تترى.

قال: وقد روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجُزِ من هوازن.

قال أبو عبيد: والعجز هم بنو سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثَقيف هم عُليا هوازن الذين قال أبو عَمرو بن العلاء: أفصح العرب عُليا هوازن وسُفلى تميم، يعني: دارم، ولهذا قال عمر: لا يُملي في مصاحفنا إلا غلمانُ قريشٍ أو ثَقيف[١].

قال ابن جرير: واللغتان الأخريان: قريشٌ وخُزاعة. رواه قتادة عن ابن عباس[٢]، ولكن لم يلْقَه.

قال أبو عُبيد: وحدثنا هُشَيم، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس؛ أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عُبيد: يعني: أنه كان يستشهد به على التفسير[٣].

وحدثنا هُشَيم، عن أبي بشر، عن سعيد أو مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:١٧]، قال: ما جمع. وأنشد:

قَدِ اتَّسَقْنَ لو يَجِدْنَ سائقا[٤]

حدثنا هُشَيم، أنبأنا حُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٤]، قال: الأرض. قال: وقال ابن عباس: قال أمية بن أبي

(١) فضائل القرآن ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٩ .

(٣) فضائل القرآن ص٢٠٥ .

(٤) فضائل القرآن ص٢٠٦ .

الصلت:

عندهم لحم بحرٍ ولحم ساهرة[١]

حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها. يقول: أنا ابتدأتها[٢]. إسنادٌ جيدٌ أيضاً.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعد ما أورد طرفاً مما تقدم: وصحَّ وثبتَ أن الذي نزل به القرآن من ألسُنِ العرب البعضُ منها دون الجميع، إذا كان معلوماً أن ألسنتَها ولغاتِها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه. فإن قال: وما برهانُكَ على ما قُلتَه دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من أنه نزل بأمرٍ وزجرٍ، وترغيبٍ وترهيب، وقصصٍ ومثل، ونحو ذلك من الأقوال، فقد علمتَ قائلَ ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة؟ قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدَّعوا أن تأويل الأخبار التي تقدَّم ذِكْرُها هو ما زعمتَ أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه، والذي قالوه من ذلك، كما قالوا: وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعةٍ من الصحابة، من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة، كما تقدم يعني: كما تقدم في روايةٍ عن أبيٍّ بن كعب وعبد الله بن مسعود: أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة.

قال ابن جرير: والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والقَصص والمثَل، التي إذا عمل بها العامل، وانتهى إلى حدودها المنتهى، استوجَبَ بها الجنة.

---

(١) فضائل القرآن ص٢٠٦.

(٢) فضائل القرآن ص٢٠٦.

ثم بسَطَ القولَ في هذا بما حاصله: أنَّ الشارع رخَّصَ للأمة التلاوة على سبعة أحرف[١].

ثم لمَّا رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ اختلاف الناس في القراءة، وخافَ من تفرُّقِ كلمتهم، جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام، قال: واستوثقَتْ له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأتْ أنَّ فيما فعله من ذلك الرشد والهداية، وتركتِ القراءةَ بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تَرْكِها طاعةً منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدَها من سائر أهل مِلَّتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفَّت آثارُها، فلا سبيل اليوم لأحدٍ إلى القراءة بها لدثورها وعُفوِّ آثارها. إلى أن قال: فإن قال مَنْ ضعُفَتْ معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسولُ الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إنَّ أمْرَه إيَّاهم بذلك لم يكن أمرَ إيجابٍ وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشكَّ من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضحُ الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيَّرين. إلى أن قال: فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرفٍ ونصبه وجرِّه وتسكين حرفٍ وتحريكه، ونقْلِ حرفٍ إلى آخر مع اتفاق الصورة في معنى قول النبي ﷺ: **«أُمرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف»** بمعزل؛ لأنَّ المِراء في مثل هذا ليس بكفر، في قول أحدٍ من علماء الأمة، وقد أوجب ﷺ بالمراء في الأحرف السبعة الكفر، كما تقدم[٢].

الحديث الثاني: قال البخاري رحمه الله: حدثنا سعيد بن عُفَير، حدثنا اللَّيث، حدثنا عُقَيل، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عروة بن الزبير: أنَّ المِسْورَ بنَ مَخْرَمة وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريَّ حدَّثاه، أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعتُ

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكِدْتُ أُساوِرُه في الصلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلبَبْتُه بردائه فقلتُ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ. فقلتُ: كذبتَ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقودُه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها! فقال رسول الله ﷺ: **«أرسِلْه، اقرأ يا هشام»**، فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أُنزِلت»**، ثم قال: **«اقرأ يا عمر»**، فقرأتُ القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أُنزِلت، إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه»**[1].

وقد رواه الإمام أحمد، والبخاري أيضاً، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والتِّرمذي من طرقٍ عن الزُّهري[2].

ورواه الإمام أحمد ـ أيضاً ـ عن ابن مهدي، عن مالك، عن الزُّهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب بن ثابت، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجلٌ عند عمرَ فغيَّر عليه، فقال: قرأتُ على رسول الله ﷺ فلم يُغيِّرْ عليَّ. قال: فاجتمعا عند النبيِّ ﷺ، فقرأ الرجل على النبيِّ ﷺ، فقال له: «**قد أحسنت**». قال: فكأنَّ عمرَ وجدَ من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمر، إنَّ القرآنَ كلَّه صوابٌ، ما لم يجعَلْ عذاباً مغفرةً، أو مغفرةً**

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٢).

(٢) مسند أحمد (٢٩٦)، وصحيح البخاري (٥٠٤١) و (٦٩٣٦)، وصحيح مسلم (٨١٨) (٢٧١)، وسنن أبي داود (١٤٧٥) وسنن النسائي ٢/ ١٥٠، وسنن الترمذي (٢٩٤٣).

(٣) مسند أحمد (٢٧٧)، وهو في «الموطأ» ١/ ٢٠١، وأخرجه من طريق مالك أيضاً: البخاري (٢٧١٩)، ومسلم (٨١٨) (٢٧٠)، وأبو داود (١٤٧٥)، والنسائي ٢/ ١٥٠.

عذاباً»[١]. وهذا إسناد حسن، وحرب بن ثابت هذا يُكنى بأبي ثابت، لا نعرف أحداً جرحه.

[أقوال العلماء في معنى السبعة أحرف][٢]

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أُريد منها على أقوال؛ قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسةٍ وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمد بن حِبَّان البُستي، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

قلت: ثم سردَها القرطبي، وحاصلها ما أنا مُورِدُه ملخَّصاً:

فالأول: ـ وهو قول أكثر أهل العلم، منهم سفيان بن عُيينة، وعبد الله بن وهب، وأبو جعفر بن جرير، والطحاوي ـ أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظٍ مختلفةٍ نحو: أقبِلْ وتعالَ وهَلُمَّ. وقال الطحاوي: وأبيَنُ ما ذُكِرَ في ذلك حديثُ أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزِدْه، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكلٌّ شافٍ كافٍ إلا أن تخلط آيةَ رحمةٍ بآية عذاب، أو آيةَ عذابٍ بآية رحمة، على نحو: هلُمَّ، وتعالَ، وأقبِلْ، واذهَبْ، وأسرِعْ، وعجِّل.

ورُوي عن ورقاء، عن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبيِّ بن كعب: أنه كان يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]: «للذين آمنوا أمهلونا» «للذين آمنوا أخرونا» «للذين آمنوا ارقبونا»، وكان يقرأ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: «مَرُّوا فيه» «سَعَوا فيه». قال الطحاوي وغيره: وإنما كان ذلك رخصةً أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لمَّا كان يتعسَّر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش، وقرأه رسول الله ﷺ لعدم علمهم

---

(١) مسند أحمد (١٦٣٦٦).

(٢) هذا العُنوان أُثبت من طبعة الشيخ محمد رشيد رضا.

بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، وقدِ ادَّعى الطحاويُّ والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصةً في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر، وتيسر الحفظ وكثرة الضبط، وتعلُّم الكتابة.

قلت: وقال بعضهم: إنما كان الذي جمعَهم على قراءةٍ واحدةٍ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم، وإنما جمعَهم عليها لِما رأى من اختلافهم في القراءة المُفضية إلى تفرُّقِ الأمة وتكفير بعضهم بعضاً، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارضَ بها جبريلُ رسولَ الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه الصلاة والسلام، وعزَمَ عليهم ألا يقرؤوا بغيرها، وألا يتعاطى الرخصة التي كانت لهم فيها سعة، ولكنها أفضت إلى الفُرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاثة المجموعة حين تتابعوا فيه وأكثروا منها، قال: فلو أنَّا أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. وكان كذلك ينهى عن المتعة في أشهر الحج؛ لئلا ينقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى يُفتي بالتمتع فترك فُتياه اتباعاً لأمير المؤمنين وسمعاً وطاعةً للأئمة المهديين.

القول الثاني: أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يُقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف، وبعضه على حرف آخر. قال الخطابي: وقد يُقرأ بعضُه بالسبع لغاتٍ، كما في قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] و﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. قال القرطبي: ذهبَ إلى هذا القول أبو عبيد، واختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض اللغات أسعدُ به من بعض، وقال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش، أي: معظمه، ولم يقم دليلٌ على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ولم يقل: قرشياً. قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً، يعني حجازها ويمنها، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر، قال: لأنَّ غير لغة قريش موجودةٌ في صحيح القراءات

بتحقيق الهمزات، فإن قريشاً لا تهمز. وقال ابن عطية: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، حتى سمعتُ أعرابياً يقول لبئر ابتدأ حفرها: أنا فطرتُها.

القول الثالث: أن لغات القرآن السبع منحصرةٌ في مُضر على اختلاف قبائلها خاصة؛ لقول عثمان: إن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما نطق به الحديث في **«سنن ابن ماجه»**[1] وغيره.

القول الرابع وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء ـ: أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء، منها ما تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه مثل: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣] و «يضيقَ»، ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه مثل: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] و «باعد بين أسفارنا»، وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف، مثل: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و«ننشُرُها»، أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، أو «كالصوف المنفوش» أو باختلاف الكلمة بالتقدم والتأخر، مثل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، أو «سكرة الحق بالموت»، أو بالزيادة مثل «تسع وتسعون نعجة أنثى»، «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»، «فإنَّ الله من بعد إكراههنَّ لهنَّ غفور».

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن، وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأنَّ هذه لا تُسمَّى حروفاً، وأيضاً فالإجماع أنَّ التوسعة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تغيير شيء من المعاني، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً، ثم قال: وليست هذه هي التي أجاز لهم القُرَّاء بها.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٦١٢) وفيه «النضر بن كنانة» بدل «النضر بن الحارث».

فصـــل

قال القرطبي: قال كثيرٌ من علمائنا كالداودي وابن أبي صُفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تُنسَبُ لهؤلاء القُرَّاء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعةٌ إلى حرفٍ واحدٍ من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره.

قال القرطبي: وقد سوَّغ كل واحدٍ من القُرَّاء السبعة قراءة الآخر وأجازها، وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسنَ وأولى عنده. قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صحَّ عن هؤلاء الأئمة فيما روَوه ورأَوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، واستمرَّ الاجتماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حِفْظ الكتاب[1].

قال البخاري، رحمه الله:

تأليـــف القـــرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف، أنَّ ابن جُرَيجٍ أخبرهم قال: وأخبرني يوسف بن ماهِك قال: إني لعند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقيٌّ فقال: أيُّ الكفَن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرُّكَ؟ قال: يا أمَّ المؤمنين، أريني مُصحفَكِ. قالت: لِمَ؟ قال: لعلِّي أولِّفُ القرآنَ عليه، فإنه يقرأُ غيرَ مؤلَّفٍ. قالت: وما يضرُّكَ أيَّه قرأتَ قبلُ، إنما أولُ ما نزَلَ منه سورةٌ من المفصَّلِ فيها ذِكْرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزَلَ أولُ شيء: ولا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبداً، ولو نزَلَ: لا تزنوا، لقالوا: لا ندَعُ الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمدٍ ﷺ وإني لجارية ألعبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا

(١) تفسير القرطبي ١/٣٦ ـ ٤٠.

عنده، قال: فأخرجَتْ له المصحفَ فأمْلَتْ عليه السُّوَر[١].

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن جُريج، به[٢].

والمراد من التأليف ها هنا ترتيبُ سُوَرِه. وهذا العراقي سأل أولاً عن أيِّ الكفن خير ـ أي: أفضل ـ فأخبرته عائشة رضي الله عنها أنَّ هذا لا ينبغي أن يُعتنى بالسؤال عنه ولا القصد ولا الاستعداد، فإن في هذا تكلُّفاً لا طائل تحته، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنُّت في الأسئلة، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال عبد الله بن عمر: انظروا أهل العراق، يسألون عن دمِ البعوضة، وقد قتلوا ابنَ بنت رسول الله ﷺ![٣].

ولهذا لم تبالغْ معه عائشةُ رضي الله عنها في الكلام؛ لئلا يُظنَّ أن ذلك أمرٌ مُهِمٌّ، وإلا فقد روى أحمد، وأهل السنن من حديث سَمُرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**البَسوا من ثيابكم البياض، وكفِّنوا فيها موتاكم، فإنها أطهرُ وأطيب**» وصحَّحه الترمذي من الوجهين[٤].

وفي «**الصحيحين**» عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: كُفِّنَ رسولَ الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحولية، ليس فيها قميصٌ ولا عمامة[٥]. وهذا محرَّرٌ في باب الكفن من كتاب الجنائز.

ثم سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل على سؤال كبير، وأخبرها أنه يُقرأ غير

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٣).

(٢) سنن النسائي الكبرى (٧٩٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٤).

(٤) حديث صحيح، وهو في مسند أحمد (٢٠٢١٨)، وسنن الترمذي (٢٨١٠)، وسنن النسائي ٤/ ٣٤ و٨/ ٢٠٥، وسنن ابن ماجه (٣٥٦٧) من حديث سمرة، ومسند أحمد (٢٢١٩)، وسنن أبي داود (٣٨٧٨)، وسنن الترمذي (٩٩٤)، وسنن النسائي ٨/ ١٤٩ من حديث ابن عباس، وليس في حديثه قوله: «فإنها أطهر وأطيب».

(٥) صحيح البخاري (١٢٦٤)، وصحيح مسلم (٩٤١).

مؤلَّف، أي: غير مرتب السُّوَر. وكأنَّ هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان ﷺ إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم، وقبل الإلزام به، والله أعلم.

ولهذا أخبرَتْه أنه لا يضرُّكَ بأيِّ سورةٍ بدأتَ، وأنَّ أول سورةٍ نزلَتْ فيها ذِكْرُ الجنة والنار، وهذه إن لم تكن «اقرأ» فقد يَحتمِلُ أنها أرادت اسمَ جنسٍ لِسَور المُفصَّل التي فيها الوعد والوعيد، ثم لمَّا انقاد الناس إلى التصديق أُمِروا ونُهوا بالتدريج أولاً فأولاً، وهذا من حكمة الله ورحمته، ومعنى هذا الكلام: أن هذه السورة أو السُّور التي فيها ذكر الجنة والنار ليس البداءة بها في أوائل المصاحف، مع أنها من أول ما نزل، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف، وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده.

فأما ترتيب الآيات في السُّوَر فليس في ذلك رخصة، بل هو أمر توقيفيٌّ عن رسول الله ﷺ، كما تقدَّم تقريرُ ذلك؛ ولهذا لم تُرخِّص له في ذلك، بل أخرجت له مصحفها، فأملَتْ عليه آيَ السُّوَر، والله أعلم. وقول عائشة: لا يضرُّكَ بأيِّ سورةٍ بدأتَ، يدلُّ على أنه لو قدَّم بعضَ السُّوَر أو أخَّر، كما دلَّ عليه حديث حذيفة وابن مسعود، وهو في الصحيح: أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران[1].

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الردِّ أنه قال: فمن أخَّرَ سورةً مقدَّمةً، أو قدَّم أخرى مؤخَّرةً، كمن أفسدَ نَظْمَ الآياتِ، وغيَّر الحروف والآيات، وكان مستنده اتباعَ مصحفِ عثمان ﷺ، فإنه مرتَّبٌ على هذا النحو المشهور، والظاهر أن ترتيب السُّوَر فيه منه ما هو راجعٌ إلى رأي عثمان، وذلك ظاهرٌ في سؤال ابن عباس له في ترك البسملة في أول براءة، وذِكْرِه الأنفال من الطُّوَل، والحديث في الترمذي وغيره بإسنادٍ جيدٍ قوي[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٢) سنن الترمذي (٣٠٨٦).

وقد ذكرنا عن عليٍّ أنه كان قد عزَمَ على ترتيب القرآن بحسب نزوله؛ ولهذا حكى القاضي الباقلاني أنَّ أول مصحفه كان: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول مصحف ابن مسعود: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم البقرة، ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول مصحف أُبيٍّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم المائدة، ثم كذا على اختلاف شديد.

ثم قال القاضي: ويَحتمل أن ترتيب السُّوَر في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة ﷺ، وكذا ذكره مكي في تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبيِّ ﷺ.

وقال ابن وهب في «جامعه»: سمعتُ سليمان بن بلال يقول: سُئِلَ ربيعة: لِمَ قدَّمْتَ البقرةَ وآلَ عمران، وقد نزل قبلهما بِضعٌ وثمانون سورة؟ فقال: قُدِّمتا وأُلِّفَ القرآنُ على علمٍ ممن ألَّفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يُسأَلُ عنه. قال ابن وهب: وسمعتُ مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبيِّ ﷺ.

قال أبو الحسن بن بطَّال: إنما يجب[1] تأليف سُوَرِهِ في الرسم والخطِّ خاصةً، ولا يُعلَمُ أنَّ أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجبٌ في الصلاة وفي قراءة القرآن ودَرْسه، أنه لا يحِلُّ لأحدٍ أن يقرأ الكهفَ قبل البقرة، ولا الحجَّ قبل[2] الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: ولا يضرُّكَ أيَّه قرأتَ قبل. وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها.

وأما ما رُوي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كَرِها أن يقرأ القرآن منكوساً، وقالا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنَيا بذلك من يقرأ السورة منكوسةً فيبتدئ

---

(١) في النسخة الخطية «إنا نجد»، والمثبت من تفسير القرطبي.

(٢) في النسخة الخطية «بعد» وهو خطأ، والصواب ما أثبته من نسخة الشيخ محمد رشيد رضا، ومن تفسير القرطبي.

بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرامٌ محظور[١].

ثم قال البخاري: حدثنا آدم، عن شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعتُ عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعتُ ابنَ مسعودٍ يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهنَّ من العِتاق الأول، وهنَّ من تِلادي[٢]. انفرد البخاري بإخراجه، والمراد منه ذِكْرُ ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية، وقوله: «من العتاق الأول» أي: من قديم ما نزل، وقوله: «وهُنَّ من تِلادي» أي: من قديم ما قَنيتُ وحفِظْتُ. والتالِد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطَّارِفُ حديثُه وجديدُه، والله أعلم.

وحدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إسحاق، سمع البراء بن عازب يقول: تعلَّمتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قبل أن يقدم النبيُّ ﷺ[٣]. وهذا متَّفقٌ عليه، وهو قطعة من حديث الهجرة، والمراد منه أن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا عَبْدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيقٍ قال: قال عبد الله: لقد علمتُ النظائر التي كان النبيُّ ﷺ يقرأهُنَّ اثنين اثنين في كل ركعة، فقام عبد الله، ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورةً من أول المُفصَّل على تأليف ابن مسعود، آخرهُنَّ من الحواميم حم الدخان، وعمَّ يتساءلون[٤].

وهذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريبٌ مخالفٌ لتأليف عثمان ﷺ، فإن المُفصَّل في مصحف عثمان ﷺ من سورة الحجرات إلى آخره، وسورةُ الدخان لا

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩٤).

(٣) صحيح البخاري (٤٩٩٥).

(٤) صحيح البخاري (٤٩٩٦).

تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبيَّ ﷺ، فذكر حديثاً فيه: أن رسول الله ﷺ كان يسمُرُ معهم بعد العشاء، فمكث عنَّا ليلةً لم يأتِنا، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال قلنا: ما أمكثَكَ عنَّا يا رسول الله؟ قال: **«طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن، فأردتُ ألا أخرج حتى أقضيه»**. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله ﷺ حين أصبحنا. قال: قلنا: كيف تُحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[١].

ورواه أبو داود، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي، به[٢]. وهذا إسناد حسن[٣].

فصـــل

فأمَّا نَقْطُ المصحف وشَكْلُه، فيُقال: إن أول مَنْ أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدَّى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يَعْمُر، فَفَعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدُّؤَلي، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحفٌ قد نقطه له يحيى بن يَعمُر، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فيُنسب إلى الحجاج أيضاً، وقيل: بل أول من فعله المأمون، وحكى أبو عَمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف، وكان يحكُّه[٤]، وكرِهَ مجاهدٌ ذلك أيضاً[٥].

---

(١) مسند أحمد (١٦١٦٦).

(٢) سنن أبي داود (١٣٩٣)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٥).

(٣) بل ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي.

(٤) وهو أثر حسن عن ابن مسعود، أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٠ ـ ٢٤١، وابن أبي شيبة ٢/٣٨ و ٦/١٤٩، وابن الضريس (٣٦) و (٤٨)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٢٩ ـ ٤٣٣).

(٥) كما أخرج ابن أبي شيبة ٢/٢٣٩، وابن أبي داود (٤٣٦)، وفي إسنادهما ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا، وأكره تعداد آيِ السُّوَر في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً[١].

وقال قتادة: بدؤوا فنقَّطوا، ثم خمَّسوا، ثم عشَّروا[٢].

وقال يحيى بن أبي كثير: أول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، أحدثوا نقطاً عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[٣].

ورأى إبراهيم النَّخَعي فاتحة سورة كذا، فأمر بمحْوِها وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه[٤]. قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رحمه الله:

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ أن جبريل كان يُعارضني بالقرآن كلَّ سنةٍ، وأنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا حضرَ أجلي[٥]. هكذا ذكره معلَّقاً، وقد أسنده في موضعٍ آخر[٦].

ثم قال: حدثنا يحيى بن قَزَعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجودَ

---

(١) أخرجه أبو عمر الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٣ و ١٥ و ١٧ .

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٥ .

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٧ و ٣٥ .

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٦ .

(٥) صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٤٣ .

(٦) صحيح البخاري (٣٦٢٤) .

تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبيَّ ﷺ، فذكر حديثاً فيه: أن رسول الله ﷺ كان يسمُرُ معهم بعد العشاء، فمكث عنَّا ليلةً لم يأتِنا، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال قلنا: ما أمكثَكَ عنَّا يا رسول الله؟ قال: **«طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن، فأردتُ ألا أخرج حتى أقضيه»**. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله ﷺ حين أصبحنا. قال: قلنا: كيف تُحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[١].

ورواه أبو داود، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي، به[٢]. وهذا إسناد حسن[٣].

فصـــل

فأمَّا نَقْطُ المصحف وشَكْلُه، فيُقال: إن أول مَنْ أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدَّى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يَعْمُر، فَفَعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدُّؤَلي، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحفٌ قد نقطه له يحيى بن يَعمُر، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فيُنسب إلى الحجاج أيضاً، وقيل: بل أول من فعله المأمون، وحكى أبو عَمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف، وكان يحكُّه[٤]، وكرِهَ مجاهدٌ ذلك أيضاً[٥].

---

(١) مسند أحمد (١٦١٦٦).

(٢) سنن أبي داود (١٣٩٣)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٥).

(٣) بل ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي.

(٤) وهو أثر حسن عن ابن مسعود، أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٠ ـ ٢٤١، وابن أبي شيبة ٢/٣٨ و ٦/١٤٩، وابن الضريس (٣٦) و (٤٨)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٢٩ ـ ٤٣٣).

(٥) كما أخرج ابن أبي شيبة ٢/٢٣٩، وابن أبي داود (٤٣٦)، وفي إسنادهما ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا، وأكره تعداد آيِ السُّوَر في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً[١].

وقال قتادة: بدؤوا فنقَّطوا، ثم خمَّسوا، ثم عشَّروا[٢].

وقال يحيى بن أبي كثير: أول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، أحدثوا نقطاً عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[٣].

ورأى إبراهيم النَّخَعي فاتحة سورة كذا، فأمر بمحْوِها وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه[٤]. قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رحمه الله:

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ أن جبريل كان يُعارضني بالقرآن كلَّ سنةٍ، وأنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا حضرَ أجلي[٥]. هكذا ذكره معلَّقاً، وقد أسنده في موضعٍ آخر[٦].

ثم قال: حدثنا يحيى بن قَزَعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجودَ

---

(١) أخرجه أبو عمر الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٣ و ١٥ و ١٧ .

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٥ .

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٧ و ٣٥ .

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٦ .

(٥) صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٤٣ .

(٦) صحيح البخاري (٣٦٢٤) .

ما يكون في شهر رمضان؛ لأنَّ جبريلَ كان يلقاه في كلِّ ليلةٍ في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرِضُ عليه رسولُ اللهِ ﷺ القرآنَ، فإذا لقِيَه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة. وهذا الحديث متفقٌ عليه[١]، وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحِكَم والفوائد، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبي حَصِين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كان يعرِضُ على النبي ﷺ القرآنَ كل عامٍ مرة، فعرضَ عليه مرتين في العام الذي قُبِضَ فيه، وكان يعتكف في كل عامٍ عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قُبِضَ[٢].

ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه من غير وجهٍ عن أبي بكر ـ وهو ابن عياش ـ عن أبي حَصين ـ واسمه عثمان بن عاصم ـ به[٣].

والمراد من معارضته له بالقرآن كلَّ سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى؛ ليبقى، ويذهب ما نُسِخَ توكيداً، استثباتاً وحفظاً؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم عليه السلام اقترابَ أجله، وعثمان ﷺ جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة، وخصَّ بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأنَّ ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يُستحَبُّ دراسةُ القرآن وتكرارهُ فيه، ومن ثَمَّ اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن، كما تقدم ذِكْرُنا لذلك.

القرَّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن إبراهيم، عن مسروق: ذكرَ عبدُ الله بن عَمرو عبدَ الله بن مسعود، فقال: لا أزال أُحِبُّه، سمعت رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٧)، وصحيح مسلم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩٨).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٦٦)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٢)، وسنن ابن ماجه (١٧٦٩).

يقول: «خُذوا القرآنَ من أربعةٍ: من عبد الله، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب» ﷺ[١].

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع، ومسلم، والنسائي من حديث [شعبة، عن عَمرو بن مُرَّة، به[٢].

وأخرجاه والترمذي، والنسائي ـ أيضاً ـ من حديث] الأعمش، عن أبي وائلٍ، عن مسروق، به[٣].

فهؤلاء الأربعة اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالمٌ هذا من سادات المسلمين وكان يومُّ الناسَ قبل مقدَم النبيِّ ﷺ المدينة، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل، وأبيٌّ بن كعب، وهما سيدان كبيران، ﷺ أجمعين[٤].

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شَقيق بن سلمة قال: خطبَنا عبد الله فقال: واللهِ لقد أخذتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، واللهِ لقد علم أصحاب النبيِّ ﷺ أني مِنْ أعلَمِهم بكتاب الله وما أنا بخيرِهم. قال شقيق: فجلستُ في الحِلَقِ أسمعُ ما يقولون، فما سمعتُ رادّاً يقول غير ذلك[٥].

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كُنَّا بحمص، فقرأ ابنُ مسعودٍ سورةَ يوسف، فقال رجل: ما هكذا أُنزلت، فقال: قرأتُ على رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنت» ووجد منه ريح الخمر، فقال:

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٧٥٨) و (٣٨٠٦)، وصحيح (٢٤٦٤) (١١٨)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٦).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٤) صحيح البخاري (٣٧٦٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٤) (١١٦) و(١١٧)ن وسنن الترمذي (٣٨١٠)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٧).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٠).

أتجمع[١] أن تُكذِّبَ بكتاب الله وتشربَ الخمر؟! فجلدَه الحدَّ[٢].

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: واللهِ الذي لا إله غيره، ما أُنزِلتْ سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزِلتْ آيةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلمَ مني تبلُغُه الإبلُ لركبتُ إليه[٣].

وهذا كلُّه حقٌّ وصدق، وهو من إخبار الرجل بما يعلم عن نفسه ما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة، كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لمَّا قال لصاحب مصر: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥]، ويكفيه مدحاً وثناءً قولُ رسول الله ﷺ: **«استقرئوا القرآن من أربعة»**، فبدأ به.

وقال أبو عبيد: حدثنا مصعب بن المقدام، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزِلَ فليقرَأْه على حرف ابن أم عبد»**[٤].

وهكذا رواه الإمام أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش به مطولاً، وفيه قصة[٥].

وأخرجه الترمذي، والنسائي من حديث أبي معاوية، وصحَّحه الدارقطني[٦]، وقد ذكرتُه في مسند عمر[٧]، وفي **«مسند الإمام أحمد»** ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة، أن

---

(١) في الأصل الخطي والنسخ المطبوعة «أتجترئ» ، والمثبت من صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠١) .

(٣) صحيح البخاري (٥٠٠٢) .

(٤) فضائل القرآن ص ٢٢٥ ، وإسناده صحيح .

(٥) مسند أحمد (١٧٥) ، وإسناده صحيح .

(٦) سنن الترمذي (١٦٩) ، وسنن النسائي الكبرى (٨٢٥٦) ، وعلل الدارقطني ١/ ١٨٣ .

(٧) مسند عمر ص ١٧١ .

رسول الله ﷺ قال: «**ومَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أُنزِلَ فليقرَأْه على حرف ابن أم عبد**»[١]، وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود، وكان يُعرَفُ بذلك.

ثم قال البخاري: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همَّام، حدثنا قَتادة قال: سألتُ أنس بن مالك: مَنْ جمعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٢].

ورواه مسلم من حديث همَّام[٣].

ثم قال البخاري: تابعه الفضل، عن حسين بن واقد، عن ثُمامة، عن أنس بن مالك[٤].

حدثنا مُعلَّى بن أسد، حدثنا عبد الله بن المثنى قال: حدثني ثابت البُناني وثُمامة، عن أنس بن مالك قال: مات النبيُّ ﷺ ولم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه[٥].

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط، وليس هذا هكذا، بل الذي لا شكَّ فيه أنه جمعه غير واحدٍ من المهاجرين أيضاً، ولعلَّ مراده: لم يجمع القرآن من الأنصار؛ ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار، وهم أُبيّ ابن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وكلهم مشهورون إلا أبا زيد هذا، فإنه غيرُ معروفٍ إلا في هذا الحديث، وقد اختُلِفَ في اسمه، فقال الواقدي: اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جُندُب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار.

---

(١) مسند أحمد (٩٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٦٥).

(٤) صحيح البخاري عقب الحديث (٥٠٠٣).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٤).

وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس. وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبو عمر بن عبد البر، وهذا بعيدٌ، وقول الواقدي أصحُّ؛ لأنه خزرجي، لأن أنساً قال: ونحن ورثناه، وهم من الخزرج، وفي بعض الألفاظ: وكأن أحد عمومتي. وقال قتادة عن أنس: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبرُ عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتزَّ لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أُجيزت شهادتُه بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت. فقالت: الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي، وقد شهد أبو زيد هذا بدراً، فيما ذكره غير واحد. وقال موسى بن عقبة عن الزُّهري: قُتِلَ أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيدة على رأس خمس عشرة من الهجرة، والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصِّدِّيق ﷺ، قدَّمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار، مع أنه ﷺ قال: **«يَؤُمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله»**[1]، فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدَّمه عليهم. هذا مضمون ما قرَّره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يُشَكُّ فيه، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً، وقد بسطتُ تقرير ذلك في كتاب مسند الشيخين رضي الله عنهما. ومنهم عثمان بن عفان وقد قرأه في ركعة ـ كما سنذكره ـ وعلي بن أبي طالب يقال: إنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا. ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين زلت؟ وفيم نزلت؟ ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطيُّ لذهبت إليه. ومنهم سالم مولى أبي حذيفة، كان من السادات النُّجباء والأئمة الأتقياء، وقد قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال: قرأت القرآن على ابن عباس مرتين، أقفه عند آيةٍ وأسأله عنها. ومنهم عبد الله بن عمرو، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جُرَيج عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعتُ القرآنَ فقرأتُ به كل ليلة، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «**اقرأه في شهر**» وذكر تمام الحديث[1].

ثم قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا، وأُبيٌّ أقرأنا، وإنا لَنَدع من لحن أُبيٍّ، وأُبيٌّ يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ، فلا أتركه لشيء، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦][2].

وهذا يدلُّ على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صواباً وهو خطأ في نفس الأمر؛ ولهذا قال الإمام مالك: ما من أحدٍ إلا يُؤخذ من قوله ويردُّ إلا قول صاحب هذا القبر، أي: فكلُّه مقبول، صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وسنذكر فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب. ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أُسيد بن الحُضَير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف،

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٠٦٤)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٦)، وهو في مسند أحمد (٦٥١٦) وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠٥).

وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حُضَير، اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فأشفقتْ يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعتُ رأسي وانصرفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظُلَّة، فيها أمثالُ المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا. قال: «**الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم**». قال ابن الهاد: وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خبَّاب عن أبي سعيد الخدري، عن أُسيد بن الحُضَير[١].

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلَّقاً، وفيه انقطاعٌ في الرواية الأولى، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعيٌّ صغيرٌ لم يدرك أُسيداً؛ لأنه مات سنة عشرين، وصلَّى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ثم فيه غرابة من حيث إنه قال: وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد ولم أرَه بسندٍ متصلٍ عن الليث بذلك، إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبد الله بن بُكير رواه عن الليث كذلك[٢].

وقد رواه الإمام أبو عبيد في «**فضائل القرآن**» فقال: حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بُكَيْر، عن اللَّيث، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي، عن أُسيد بن حُضَير، فذكر الحديث إلى آخره، ثم قال: قال ابن الهاد: وحدثني عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، عن أُسيد بن حُضَير بهذا[٣].

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شُعيب بن الليث، وعن علي بن محمد بن علي، عن داود بن منصور، كلاهما عن

---

(١) صحيح البخاري (٥٠١٨)، وانظر تخريجه في «مسند أحمد» (١١٧٦٦).

(٢) ونقله عنه المزي في «تهذيب الكمال» ١/ ٧٢.

(٣) فضائل القرآن ص٢٦.

الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله ـ وهو ابن الهاد ـ عن عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، عن أُسيد، به[١].

ورواه يحيى بن بُكير، عن الليث كذلك أيضاً، فجمع بين الإسنادين[٢].

ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، أنَّ أُسيد بن حُضَير بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبَده، الحديث[٣]. ولم يقل: عن أسيد، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم.

وقال أبو عبيد: حدثني عبد الله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك، عن أُسيد بن حضير: أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت، ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه[٤]:

حدثنا قَبيصة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُسيد بن حُضَير قال: قلت: يا رسول الله، بينما أنا أقرأ البارحةَ بسورةٍ، فلما انتهيتُ إلى آخرها سمعتُ وَجبةً من خلفي، حتى ظننتُ أنَّ فرسي تُطلق، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ أبا عَتيك»** (مرتين). قال: فالتفتُّ إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ أبا عَتيك»**. فقال: واللهِ ما استطعتُ أن أمضي، فقال: **«تلك الملائكةُ نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيتَ لرأيتَ الأعاجيب»**[٥].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٠٧٤).

(٢) وقد تقدم من رواية أبي عبيد.

(٣) سنن النسائي الكبرى (٨٢٤٤)، وأخرجه أيضاً ـ مسلم (٧٩٦) من طريقين آخرين، عن يعقوب بن إبراهيم، به.

(٤) فضائل القرآن ص٢٧.

(٥) فضائل القرآن ص٢٧.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجلٌ يقرأ سورة الكهف ليلةً إذ رأى دابته تركض ـ أو قال: فرسه يركض ـ فنظر فإذا مثلُ الضَّبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزَّل على القرآن**»[١].

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة[٢].

والظاهر أن هذا هو أُسيد بن الحُضَير ﷺ، فهذا ما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقٌ ظاهرٌ فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأُسيد بن الحُضَير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عُبيد: حدثنا عبَّاد بن عبَّاد، عن جرير بن حازم، عن عمِّه جرير بن زيد، أنَّ أشياخ أهلِ المدينة حدَّثوه، أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم ترَ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شماسٍ لم تزل دارُه البارحةَ تزهَرُ مصابيح؟ قال: «فلعلَّه قرأ سورة البقرة». قال: فسُئِلَ ثابتٌ فقال: قرأتُ سورةَ البقرة[٣].

وفي الحديث المشهور الصحيح: «**ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكَرَهم الله فيمن عنده**» رواه مسلم عن أبي هريرة[٤].

ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وجاء في بعض التفاسير: أن الملائكة تشهده. وقد جاء في «**الصحيحين**» عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكةٌ**

---

(١) مسند الطيالسي (٧١٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٦١٤)، وصحيح مسلم (٧٩٥).

(٣) فضائل القرآن ص٢٧.

(٤) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلَمُ بهم: كيف تركتُم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهو يصلون»[١].

من قال: لم يترك النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدُّفَّتين

حدثنا قُتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيع قال: دخلتُ أنا وشدادُ بن مَعْقِل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أترَكَ النبيُّ ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدُّفَّتين. قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية فسألناه، فقال: ما تركَ إلا ما بين الدُّفَّتين[٢]. تفرد به البخاري، ومعناه: أنه عليه السلام ما ترك مالاً ولا شيئاً يورث عنه، كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث: ما تركَ رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً[٣]. وفي حديث أبي الدرداء: **«إنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذَ بحظٍّ وافر»**[٤]. ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدُّفَّتين ـ يعني: القرآن والسنة ـ مفسِّرةً له ومبيِّنةً وموضحةً له، فهي تابعةٌ له، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فالأنبياء عليهم السلام لم يُخلَقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، إنما خُلقوا للآخرة يدعون إليها ويُرَغِّبون فيها؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«لا نورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»**[٥]، وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ لمَّا

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٥)، وصحيح مسلم (٦٣٢).

(٢) صحيح البخاري (٥٠١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٩) و (٤٤٦١).

(٤) حديث حسن، أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٨).

سُئِلَ عن ميراث النبي ﷺ، فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه عليه السلام غيرُ واحدٍ من الصحابة، منهم عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو هريرة، وعائشة، وغيرهم، وهذا ابن عباس يقوله ـ أيضاً ـ عنه عليه السلام، ﷺ أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هُدْبة بن خالد أبو خالد، حدثنا همَّام، حدثنا قَتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن أبي موسى رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ: «**مثَلُ الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة، طعمُها طيِّبٌ وريحها طيِّبٌ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة، طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحُها طيِّب وطعمُها مُرٌّ، ومثَلُ الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمُها مرٌّ ولا ريحَ لها**»(١).

وهكذا رواه في مواضع أُخر مع بقية الجماعة من طرقٍ عن قَتادة، به(٢).

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث: أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً، فدلَّ على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر.

ثم قال: حدثنا مُسَدَّد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني عبد الله بن دينار، قال: سمعتُ ابنَ عمر عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنما أجَلُكم في أجل مَنْ خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثَلُكم ومثَلُ اليهود والنصارى كمثل رجلٍ استعمل عمَّالاً، فقال: مَنْ يعملُ لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملتِ اليهودُ، فقال: مَنْ يعملُ لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملَتِ النصارى، ثم أنتم من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقلُّ عطاءً! قال: هل ظلمتُكم من حقِّكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه مَنْ شِئت**»(٣). تفرد به من

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٥٩) و (٥٤٢٧)، وصحيح مسلم (٧٩٧)، وسنن أبي داود (٤٨٣٠)، وسنن الترمذي (٢٨٦٥)، وسنن النسائي ٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥، وسنن ابن ماجه (٢١٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢١).

هذا الوجه، ومناسبته للترجمة: أن هذه الأمة مع قِصَر مدَّتها فضلَتِ الأممَ الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي «المسند» والسنن عن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم تُوفون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله**»(١). وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرَّفه الله تعالى على كل كتابٍ أنزله، جعله مهيمناً عليه، وناسخاً له، وخاتماً له؛ لأنَّ كلَّ الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملةً واحدة، وهذا القرآن نزل منجَّماً بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه، فكلُّ مرةٍ كنزول كتابٍ من الكتب المتقدمة، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لَدُن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى مِن ثَمَّ إلى أن بُعِثَ محمدٌ ﷺ، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى الله المتقدمين قيراطاً قيراطاً، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين، ضِعْفَي ما أعطى أولئك، فقالوا: أي ربَّنا، ما لنا أكثرُ عملاً وأقلُّ أجراً؟ فقال: هل ظلمتُكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي ـ أي: الزائد على ما أعطيتكم ـ أؤتيه من أشاء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

الوصايا بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا مالك بن مِغْوَل، حدثنا طلحة بن مُصَرِّف قال: سألتُ عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبيُّ ﷺ؟ قال: لا. فقلتُ: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها ولم يُوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله عزَّ وجلَّ(٢).

---

(١) وهو في مسند أحمد (٢٠٠٢٩)، وسنن الترمذي (٣٠٠١)، وسنن ابن ماجه (٤٢٨٧) و (٤٢٨٨)، وهو حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٢٢).

وقد رواه في مواضع أُخر مع بقية الجماعة، إلا أبا داود من طرقٍ عن مالك بن مِغْوَل، به[١].

وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس: «**ما ترك إلا ما بين الدُّفتَّين**»، وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأما هو ﷺ فلم يترك شيئاً يورَثُ عنه، وإنما ترك مالَه صدقةً جاريةً من بعده، فلم يحتج إلى وصيةٍ في ذلك، ولم يوصِ إلى خليفةٍ يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماآته إلى الصِّدِّيق؛ ولهذا لمَّا همَّ بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٢]، وكان كذلك، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى.

من لم يتغنَّ بالقرآن وقول الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]

حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا اللَّيث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لم يأذَنِ اللهُ لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ أن يتغنى بالقرآن**»، وقال صاحبٌ له: يريد: يجهر به[٣]. فرُدَّ من هذا الوجه.

ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المَديني، عن سفيان بن عُيينة، عن الزهري، به. قال سفيان: تفسيره: يستغني به[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٤٠) و (٤٤٦٠)، وصحيح مسلم (١٦٣٤)، وسنن الترمذي (٢١١٩)، وسنن النسائي ٦/ ٢٤٠، وسنن ابن ماجه (٢٦٩٦).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٣).

(٤) صحيح البخاري (٥٠٢٤).

وقد أخرجه مسلم، والنسائي من حديث سفيان بن عُيينة، به[١]. ومعناه: أن الله ما استمع لشيءٍ كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت؛ لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يسمع أصوات العباد كلِّهم، بَرِّهم وفاجرِهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الله الذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ[٢]. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسَّر الأذن ها هنا بالأمر، والأول أولى؛ لقوله: «**ما أذِنَ الله لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ أن يتغنَّى بالقرآن**» أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٥] أي: وحَقَّ لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأَذَنُ هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن فَضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أشدُّ أَذَناً إلى الرجل الحسَنِ الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القَينة إلى قَينته**»[٣].

وقال سفيان بن عُيينة: إن المراد بالتغنِّي: يستغني به، فإن أراد: أنه يستغني به عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسَّره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها.

---

(١) صحيح مسلم (٧٩٢)، وسنن النسائي ١/ ١٨٠.

(٢) وهو أثر صحيح، أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي ٦/ ١٦٨، وابن ماجه (١٨٨).

(٣) سنن ابن ماجه (١٣٤٠) لكن إسناده ضعيف ليس بجيد، فيه ميسرة مولى فضالة، وهو مجهول. وانظر تخريجه في «مسند أحمد» (٢٣٩٥٦).

قال حَرْملة: سمعتُ ابنَ عُيينة يقول: معناه: يستغني به، فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لكان يتغانى، وإنما هو يتحزَّنُ ويترنَّمُ به، ثم قال حَرملة: وسمعتُ ابن وَهْب يقول: يترنَّمُ به، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله.

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذُكرت ردّاً على الذين سألوا عن آياتٍ تدلُّ على صدقه، حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١]. ومعنى ذلك: أولم يكْفِهم آيةً دالَّةً على صدقك إنزالُنا القرآن عليك وأنت رجلٌ أميٌّ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. أي: وقد جئتَ فيه بخبر الأولين والآخرين، فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا، فعلى كل تقديرٍ تصديرُ الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر.

فصل
في إيراد أحاديثَ في معنى الباب وذِكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن قَباث بن رَزين، عن عُلَيّ بن رباح اللَّخمي، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحنُ في المسجد نتدارس القرآن، فقال: **«تعلَّموا كتاب الله واقتنوه»**. قال: وحسبت أنه قال: **«وتغنَّوا به، فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفلُّتاً من المخاض من العُقُلِ»**[1].

وحدثنا عبد الله بن صالح، عن موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، عن عقبة بن عامر،

(١) فضائل القرآن ص٢٩ ، وإسناده جيد.

قال حَرْملة: سمعتُ ابنَ عُيينة يقول: معناه: يستغني به، فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لكان يتغانى، وإنما هو يتحزَّنُ ويترنَّمُ به، ثم قال حَرملة: وسمعتُ ابن وَهْب يقول: يترنَّمُ به، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله.

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذُكرت ردّاً على الذين سألوا عن آياتٍ تدلُّ على صدقه، حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١]. ومعنى ذلك: أولم يكْفِهم آيةً دالَّةً على صدقك إنزالُنا القرآن عليك وأنت رجلٌ أميٌّ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. أي: وقد جئتَ فيه بخبر الأولين والآخرين، فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا، فعلى كل تقديرٍ تصديرُ الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر.

فصل
في إيراد أحاديثَ في معنى الباب وذِكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن قَباث بن رَزين، عن عُلَيّ بن رباح اللَّخمي، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحنُ في المسجد نتدارس القرآن، فقال: **«تعلَّموا كتاب الله واقتنوه»**. قال: وحسبت أنه قال: **«وتغنَّوا به، فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفلُّتاً من المخاض من العُقُلِ»**[1].

وحدثنا عبد الله بن صالح، عن موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، عن عقبة بن عامر،

(١) فضائل القرآن ص٢٩ ، وإسناده جيد.

عن رسول الله ﷺ مثل ذلك، إلا أنه قال: **«واقتنوه وتغنَّوا به»**[١] ولم يشك.

وهكذا رواه أحمد، والنسائي في فضائل القرآن، من حديث موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، به[٢]. ومن حديث عبد الله بن المبارك، عن قَباث بن رَزين، عن عُلَيّ بن رباح، عن عقبة[٣]. وفي بعض ألفاظه: خرج علينا ونحن نقرأ القرآن، فسلَّم علينا، وذكر الحديث. ففيه دلالة على السلام على القارئ.

وقال أبو عُبيد: حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن المهاصر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أهل القرآن، لا توسَّدوا القرآن، واتلوه حقَّ تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنَّوه وتقنَّوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»** وهذا مرسل.

ثم قال أبو عبيد: قوله: **«تغنَّوه»**: يعني: اجعلوه غناكم من الفقر، ولا تعدُّوا الإقلال معه فقراً. وقوله: **«وتقنَّوه»**، يقول: اقتنوه كما تقتنون الأموال، اجعلوه مالكم[٤].

قال أبو عبيد: حدثني هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المهاجر، عن فَضالة بن عبيد، عن النبي ﷺ قال: **«للهُ أشدُّ أَذَناً إلى الرجل الحسَنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القَينة إلى قَينته»**[٥].

قال أبو عبيد: هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول: عن إسماعيل بن عُبيد الله، عن مولى فضالة، عن فضالة. وهكذا رواه ابن ماجه، عن راشد بن سعيد

---

(١) فضائل القرآن ص٢٩ ، وإسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد (١٧٣١٧) ، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٣٤) .

(٣) مسند أحمد (١٧٣٦١) ، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٣٥) ولكن من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ، عن قباث، به .

(٤) فضائل القرآن ص٢٩ ـ ٣٠ .

(٥) فضائل القرآن ص٧٧ ـ ٧٨ ، وإسناده ضعيف لانقطاعه، إسماعيل بن عبيد الله لم يسمع من فضالة.

ابن أبي راشد، عن الوليد، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عُبيد الله، عن ميسرة مولى فضالة، عن فضالة، عن النبي ﷺ: **«للهُ أشدُّ أذَناً إلى الرجل الحسَن الصوت بالقرآن [يجهر به][(١)] من صاحب القَينة إلى قَينته»**[(٢)]. قال أبو عبيد: يعني: الاستماع. وقوله في الحديث الآخر: **«ما أذِنَ الله لشيء»** أي: ما استمع[(٣)].

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا محمد بن حُمَيد، حدثنا سلمة بن الفضل، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن أبي مُلَيْكة، حدثنا القاسم بن محمد، حدثنا السائب قال: قالي سعد: يا ابن أخي، هل قرأتَ القرآن؟ قلتُ: نعم. قال: غنِّ به، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«غنُّوا بالقرآن، ليس منَّا من لم يُغَنِّ بالقرآن، وابكوا، فإن لم تقدِروا على البكاء فتباكَوا»**[(٤)].

وقد روى أبو داود من حديث الليث وعَمرو بن دينار، كلاهما عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عن عبيد الله بن أبي نَهيك، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: [**«ليس مِنَّا من لم يتغَنَّ بالقرآن»**][(٥)].

ورواه ابن ماجه من حديث ابن أبي مُليكة، عن عبد الرحمن بن السائب، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ:][(٦)] **«إنَّ هذا القرآن نزل بحزَن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكَوا، وتغنَّوا به، فمن لم يتغنَّ به فليس منا»**[(٧)].

[وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سعيد بن حسان المخزومي، عن ابن أبي

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من سنن ابن ماجه.

(٢) سنن ابن ماجه (١٣٤٠)، وإسناده ضعيف لجهالة ميسرة مولى فضالة، وقد تقدم تقريباً.

(٣) فضائل القرآن ص٧٨.

(٤) في إسناده محمد بن حميد الرازي، وهو متروك.

(٥) حديث صحيح، وهو في سنن أبي داود (١٤٦٩) و (١٤٧٠).

(٦) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٧) سنن ابن ماجه (١٣٣٧)، وفي إسناده إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف.

مُلَيْكة، عن عبد الله بن أبي نَهيك، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس مِنَّا من لم يتغَنَّ بالقرآن»**. قال وكيع: يعني: يستغني به[١].

ورواه أيضاً عن الحجاج وأبي النَّضر، كلاهما عن الليث بن سعد. وعن سفيان ابن عُيينة، عن عَمرو بن دينار، كلاهما عن عبد الله بن أبي مُلَيكة، به[٢][٣].

وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه، والله أعلم.

وقال أبو داود: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا عبد الجبار بن الورد، سمعت ابن أبي مُلَيْكة، يقول: قال عُبيد الله بن أبي يزيد: مرَّ بنا أبو لُبَابة فاتَّبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجلٌ رَثُّ البيت، رَثُّ الهيئة، فانتسبنا له، فقال: تجار كسبة، فسمعتُه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس مِنَّا من لم يتغَنَّ بالقرآن»**. قال: فقلتُ لابن أبي مُليكة: يا أبا محمد، أرأيتَ إذا لم يكن حسنَ الصوت؟ قال: يُحسِّنه ما استطاع[٤]. تفرد به أبو داود.

فقد فُهِمَ من هذا أنَّ السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الأئمة رحمهم الله، ويدلُّ على ذلك ـ أيضاً ـ ما رواه أبو داود حيث قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن طلحة، عن عبد الرحمن بن عَوْسَجة، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: **«زيِّنوا القرآن بأصواتكم»**[٥].

وأخرجه النسائي، وابن ماجه من حديث شعبة، عن طلحة [وهو ابن مُصرِّف ـ به[٦].

---

(١) مسند أحمد (١٤٧٦).

(٢) مسند أحمد (١٥١٢) و (١٥٤٩).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٤) سنن أبي داود (١٤٧١)، وإسناده صحيح.

(٥) سنن أبي داود (١٤٦٨)، وإسناده صحيح. وانظر تمام تخريجه في «مسند أحمد» (١٨٤٩٤).

(٦) سنن النسائي ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠، وسنن ابن ماجه (١٣٤٢). وانظر تمام تخريجه في «مسند» (١٨٧٠٥).

وأخرجه النسائي من طُرقٍ أُخر عن طلحة[١] [٢]، وهذا إسنادٌ جيد.

وقد وثَّق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا، ونقل الأزْدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: سألتُ عنه بالمدينة، فلم أرَهُم يحمدونه[٣].

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلام: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: نهاني أيوب أن أُحدِّث بهذا الحديث: «**زينوا القرآن بأصواتكم**». قال أبو عبيد: وإنما كره أيوب ـ فيما نرى ـ أن يتأوَّلَ الناسُ بهذا الحديث الرخصةَ من رسول الله ﷺ في الألحان المبتدعة، فلهذا أنهاه أن يُحدِّث به[٤].

قلتُ: ثم إن شعبة روى الحديث متوكلاً على الله كما رُوي له، ولو تُرِكَ كلُّ حديثٍ يتأوَّلُه مُبطِلٌ لَتُرِكَ من السُّنَّة شيءٌ كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آياتٍ كثيرة وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة، والله المستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبُه وتحزينُه والتخشُّعُ به، كما رواه الحافظ الكبير بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ، حيث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، [حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة]، عن [أبي بُردة بن][٥] أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا موسى، لو رأيتَني وأنا أستمع قراءتكَ البارحة**». قلتُ: أما واللهِ لو علمتُ أنك تستمع قراءتي لحبَّرتُها لكَ تحبيراً.

ورواه مسلم من حديث طلحة، به. وزاد: «**لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آلِ داود**»[٦]. وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري، والغرض أن أبا موسى قال: لو

---

(١) سنن النسائي ٢/ ١٧٩ .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٣) انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» للمزي.

(٤) فضائل القرآن ص٨١ .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٦) صحيح مسلم (٧٩٣) .

أعلم أنك تستمع لحبَّرتُه لك تحبيراً، فدلَّ على جواز تعاطي ذلك وتكلُّفه، وقد كان أبو موسى ـ كما قال عليه السلام ـ قد أُعطي صوتاً حسناً كما سنذكره إن شاء الله، مع خشيةٍ تامةٍ، ورقةِ أهل اليمن الموصوفة، فدلَّ على أن هذا من الأمور الشرعية.

قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن اللَّيث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكِّرنا ربَّنا يا أبا موسى، فيقرأُ عنده[١].

وقال أبو عُبيد: [وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم][٢]، حدثنا سليمان التَّيمي، أُنبِئتُ عنه، حدثنا أبو عثمان النَّهدي قال: كان أبو موسى يُصلِّي بنا، فلو قلتُ: إني لم أسمع صوتَ صنجٍ قطُّ، ولا بَرْبَطٍ قطُّ، ولا شيئاً قطُّ أحسنَ من صوته[٣].

وقال ابن ماجه: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجُمحي يُحدِّث عن عائشة قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء، ثم جئتُ، فقال: **«أينَ كنتِ ؟»**. قلت: كنتُ أستمع قراءةَ رجلٍ من أصحابِكَ لم أسمع مثل قراءتِه وصوتِه من أحد. قالت: فقام، فقمتُ معه حتى أستمعَ له، ثم التفت إليَّ فقال: **«هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلَ هذا»**[٤]. إسناد جيد.

وفي **«الصحيحين»** عن جُبير بن مُطْعِم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً ـ أو قال: قراءةً ـ منه[٥].

---

(١) فضائل القرآن ص٧٩ ، وإسناده حسن.

(٢) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدركته من فضائل القرآن.

(٣) فضائل القرآن ص٧٩ ، وإسناده صحيح.

(٤) سنن ابن ماجه (١٣٣٨) .

(٥) صحيح البخاري (٧٦٥) ، ومسلم (٤٦٣) دون زيادة: فما سمعت أحداً ... فهذه الزيادة من حديث آخر عن البراء بن عازب، أخرجه البخاري (٧٦٩) ، ومسلم (٤٦٤) (١٧٧) وفيه أنه ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، ثم قال البراء: فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه، أو قراءة.

وفي بعض ألفاظه: فلمَّا سمعتُه قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، خِلْتُ أنَّ فؤادي قد انصدع[١]. وكان جُبير لمَّا سمع هذا بعدُ مشركاً على دين قومه، وإنما قدم في فداء الأسارى بعد بدر، وناهيكَ بمن تؤثر قراءته في المشرك المُصِرِّ على الكفر، وكان سببَ هدايته.

ولهذا كان أحسنُ القراآت ما كان عن خشوع القلب، كما قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن طاوس قال: أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله[٢].

وحدثنا قَبيصة، عن سفيان، عن ابن جُريج، عن ابن طاوس، عن أبيه. وعن الحسن بن مسلم، عن طاوس قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ الناس أحسنُ صوتاً بالقرآن؟ فقال: «**الذي إذا سمعتَه رأيتَه يخشى الله**»[٣].

وقد رُوي هذا متصلاً من وجهٍ آخر، فقال ابن ماجه: حدثنا بشر بن معاذ الضرير، حدثنا عبد الله بن جعفر المَديني، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع، عن أبي الزُّبير، عن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أحسنِ الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**»[٤]، ولكن عبد الله بن جعفر هذا ـ وهو والد علي بن المديني ـ وشيخه ضعيفان، والله أعلم.

والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهُّمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنزَّه عن هذا،

---

(١) هذه الرواية في صحيح البخاري (٤٨٥٤) لكن قال في آخره: كاد قلبي أن يطير.

(٢) فضائل القرآن ص٨٠ ، لكنه يتحسَّن بما بعده، ثم إن له شاهداً آخر سيأتي في باب الدعاء المأثور لحفظ القرآن .

(٣) فضائل القرآن ص٨٠ . وإسناده مرسل أيضاً، وهو حديث حسن.

(٤) سنن ابن ماجه (١٣٣٩) .

ويُجَلُّ ويُعظَّمُ أن يُسلَكَ في أدائه هذا المذهب، وقد جاءتِ السُّنَّة بالزجر عن ذلك، كما قال الإمام العلم أبو عُبيد القاسم بن سلام رحمه الله: حدثنا نُعيم بن حماد، عن بَقِيَّة بن الوليد، عن حُصَين بن مالك الفَزاري: سمعت شيخاً يُكنى أبا محمد يُحدِّثُ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإيَّاكم ولحونَ أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قومٌ من بعدي يُرَجِّعون بالقرآن ترجيعَ الغناء والرهبانية والنَّوح، لا يجاوز حناجِرَهم، مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يعجبهم شأنُهم»**[١].

حدثنا يزيد، عن شَريك، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر، عن عُلَيم قال: كنَّا على سطحٍ ومعنا رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ. قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عابس الغفاري، فرأى الناس يخرجون في الطاعون، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يفِرُّون من الطاعون. فقال: يا طاعون خُذني. فقالوا: تتمنى الموت وقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«لا يتمنينَّ أحدُكم الموت»**؟ فقال: إني أبادر خصالاً سمعتُ رسولَ الله ﷺ يتخوَّفُهنَّ على أمته: **«بيعُ الحُكم، والاستخفافُ بالدم، وقطيعةُ الرَّحِم، وقومٌ يتَّخِذون القرآن مزاميرَ يُقدِّمون أحدَهم ليس بأفقَهِهم ولا أفضَلِهم إلا ليُغنِّيَهم به غناءً»** وذكر خَصلتين أُخريين[٢].

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن عثمان بن عُمير، عن زاذان، عن عابس الغفاري، عن النبي ﷺ مثل ذلك أو نحوه[٣].

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل، عن أنس بن مالك: أنه

---

(١) فضائل القرآن ص٨٠، وفي إسناده حصين بن مالك الفزاري، وقد ترجم له الذهبي في «الميزان» ١/٥٥٣، ثم ساق له هذا الحديث وقال: تفرد عنه بقية، ليس بالمعتمد، والخبر منكر.

(٢) حديث صحيح، وهو في فضائل القرآن لأبي عبيد ص٨٠ ـ ٨١، والحديث في مسند أحمد (١٦٠٤٠) وفيه أن الخصلتين الأخريتين هما: إمرة السفهاء، وكثرة الشُّرَط.

(٣) فضائل القرآن ص٨١.

سمع رجلاً يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك، ونهى عنه[١].

هذه طرقٌ حسنةٌ في باب الترهيب، وهذا يدلُّ على أنه محذورٌ كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نصَّ الأئمة رحمهم الله على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً، فقدِ اتَّفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا روح، حدثنا عُبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس مِنَّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن»**.

ثم قال: وإنما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مُلَيكة فيه، فرواه ابن عبد الجبار بن الورد عنه عن أبي لبابة، ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن أبي نَهيك عن سعد، ورواه عَسْل بن سفيان عنه، عن عائشة، ورواه نافع مولى ابن عمر عنه، عن ابن الزبير[٢].

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزُّهري، حدثني سالم بن عبد الله، أنَّ عبد الله بن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ أتاه الله الكتاب فقام به آناء الليل، ورجلٌ أعطاه الله مالاً فهو يتصدَّقُ به آناء الليل والنهار»**[٣].

انفرد به البخاري من هذا الوجه، واتَّفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزُّهري[٤].

---

(١) فضائل القرآن ص٨١ ، وفي إسناده رجل مبهم.

(٢) مسند البزار (كشف الأستار) (٢٣٣٢) ، ثم أخرجه من هذه الطرق بالأرقام (٢٣٣٣) و (٢٣٣٤) و(٢٣٣٥) و (٢٣٣٦) .

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٥) .

(٤) صحيح البخاري (٧٥٢٩) ، وصحيح مسلم (٨١٥) .

ثم قال البخاري: حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن سليمان قال: سمعت ذَكوان، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**»، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أوتي فلانٌ، فعملتُ مثل ما يعمل، «**ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو يُهلِكُه في الحق**»، فقال رجل: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلانٌ، فعملتُ مثل ما يعمل[1].

ومضمون هذين الحديثين: أنَّ صاحب القرآن في غبطةٍ وهو حسن الحال، فينبغي أن يكون شديدَ الاغتباط بما هو فيه، ويُستحَبُّ تغبيطُه بذلك، يقال: غبطَه يغبِطه غبطاً: إذا تمنى ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم: وهو تمنِّي زوال نعمة المحسود عنه، سواءٌ حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذمومٌ شرعاً، مهلكٌ، وهو أول معاصي إبليس حين حسدَ آدمَ عليه السلام على ما منَحه اللهُ تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام.

والحسدُ الشرعيُّ الممدوح هو تمنِّي مثلَ حال ذلك الذي هو على حالةٍ سارَّةٍ؛ ولهذا قال عليه السلام: «**لا حسدَ إلا في اثنتين**»، فذكر النعمةَ القاصرةَ وهي تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمةَ المتعديةَ وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقد رُوي نحوُ هذا من وجهٍ آخر، فقال عبد الله ابن الإمام أحمد: وجدت كتاب أبي بخطِّ يده: كتبَ إليَّ أبو توبة الربيع بن نافع، فكان في كتابه: حدثنا الهيثم بن حميد، عن زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مُرَّة، عن يزيد بن الأخنس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تنافُسَ بينكم إلا في اثنتين: رجلٌ أعطاه اللهُ القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتَّبع ما فيه، فيقول رجلٌ: لو أنَّ الله أعطاني مثلَ ما أعطى فلاناً، فأقومَ به كما يقوم به، ورجلٌ أعطاه الله مالاً فهو ينفقه ويتصدَّق،**

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٦).

فيقول رجلٌ: لو أنَّ الله أعطاني مثلَ ما أعطى فلاناً فأتصدَّق به»[١]. وقريبٌ من هذا ما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نُمير، حدثنا عبادة بن مسلم، حدثني يونس بن خبَّاب، عن سعيد أبي البَخْتَري الطائي، عن أبي كبشة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أُقسِمُ عليهنَّ، وأُحدِّثُكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاثُ التي أُقسِمُ عليهنَّ: فإنه ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبرَ عليها إلا زادَه اللهُ بها عِزّاً، ولا يفتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ له بابَ فقر، وأما الذي أُحدِّثُكم حديثاً فاحفظوه» فإنه قال: «إنما الدنيا لأربعة نفَرٍ: عبدٍ رزقَه اللهُ مالاً وعلماً فهو يتَّقي فيه ربَّه ويصِلُ رَحِمَه، ويعملُ للهِ فيه حقَّه» قال: «فهذا بأفضلِ المنازل، وعبدٍ رزقَه اللهُ علماً ولم يرزُقْه مالاً فهو يقول: لو كان لي مالٌ عملتُ بعمل فلان» قال: «فأجرُهما سواء، وعبدٍ رزقَه اللهُ مالاً ولم يرزُقه علماً فهو يخْبِطُ في ماله بغير علمٍ لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصِلُ فيه رَحِمَه، ولا يعملُ لله فيه حقَّه، فهذا بأخبثِ المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو كان لي مالٌ لفعلتُ بعمل فلان» قال: «هي نيَّتُه، فوِزْرُهما فيه سواء»[٢].

وقال أيضاً: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ هذه الأمة مَثَلُ أربعة نفر: رجلٍ آتاه اللهُ مالاً وعلماً فهو يعمل به في ماله ينفِقُه في حقِّه، ورجلٍ آتاه اللهُ علماً ولم يؤتِه مالاً فهو يقول: لو كان لي مثلُ مالِ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعمل». قال رسول الله ﷺ: «فهما في الأجر سواء، ورجلٍ آتاه الله مالاً ولم يُؤتِه علماً فهو يَخبِطُ فيه يُنفِقُه في غير حقِّه، ورجلٍ لم يُؤتِه اللهُ مالاً ولا علماً فهو يقول: لو كان لي مثلُ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعمل». قال رسول الله ﷺ: «فهما في الوِزْرِ سواء»[٣] إسناد صحيح[٤].

---

(١) حديث صحيح لغيره، وهو في مسند أحمد (١٦٩٦٦).

(٢) حديث حسن، وهو في مسند أحمد (١٨٠٣١).

(٣) مسند أحمد (١٨٠٢٤).

(٤) بل إسناده ضعيف لانقطاعه، سالم لم يسمع من أبي كبشة فيما ذكر الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» ٩/ ٢٧٤. لكن الحديث يتحسن بما قبله.

خيرُكم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه

حدثنا حجاج بن مِنْهال، حدثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مَرْثَد، سمعت سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان بن عفان، عن النبي ﷺ قال: «**خيرُكم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**». وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان ﷺ، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[١].

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن: وهو عبد الله بن حبيب السُّلمي رحمه الله[٢].

وحدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مَرْثَد، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أفضلَكم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[٣].

وهكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طرقٍ عن سفيان، عن علقمة، عن أبي عبد الرحمن، من غير ذكر سعد بن عبيدة[٤].

كما رواه شعبة ولم يُختلَفْ عليه فيه، وهذا المقام مما حُكِمَ لسفيان الثوري فيه على شعبة، وخطَّأَ بُنْدارُ يحيى بنَ سعيد في روايته ذلك عن سفيان، عن علقمة، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، وقال: رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه، بإسقاط سعد بن عبيدة، ورواية سفيان أصحُّ في هذا المقام المتعلِّق بصناعة

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

(٢) سنن أبي داود (١٤٥٢)، وسنن الترمذي (٢٩٠٧)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٣٧)، وسنن ابن ماجه (٢١١).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٨).

(٤) سنن الترمذي (٢٩٠٨) وسنن النسائي الكبرى (٨٠٣٨)، وسنن ابن ماجه (٢١٢).

الإسناد[1]، وفي ذكره طولٌ لولا المَلالةُ لذكرناه، وفيما ذُكِرَ كفايةٌ وإرشادٌ إلى ما تُرِكَ، والله أعلم.

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**خيركُم من تعلَّمَ القرآن وعلَّمه**» وهذه من صفات المؤمنين المتَّبعين للرسل، وهم الكُمَّلُ في أنفسهم، المكمِّلون لغيرهم، وذلك جمعٌ بين النفع القاصر والمتعدِّي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون، ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٦] في أصحِّ قولَي المفسِّرين في هذا، وهو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيِهم وبُعدِهم عنه أيضاً، فجمعوا بين التكذيب والصدِّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام:١٥٧]، فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يكمل في نفسه، وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام: «**خيركم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»، وكما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فجمع بين الدعوة إلى الله، سواءً كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك، مما يُبتغى به وجهُ الله، وعمل هو في نفسه صالحاً، وقال قولاً صالحاً، فلا أحدَ أحسنُ حالاً من هذا.

وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي الكوفي ـ أحدُ أئمة الإسلام ومشايخهم ـ من رغَّب في هذا المقام، فقعد يُعلِّم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث فيه القرآن سبعين سنة، رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبَه ورامَه. آمين.

قال البخاري رحمه الله: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا حماد، عن أبي حازم،

---

(١) هذا الكلام ذكره بمعناه الترمذي عقب الحديث (٢٩٠٨).

عن سهل بن سعد قال: أتتِ النبيَّ ﷺ امرأةٌ فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ورسوله، فقال: **«ما لي في النساء من حاجة»** فقال رجلٌ: زوِّجنيها. قال: **«أعْطِها ثوباً»** قال: لا أجد. قال: **«أعْطِها ولو خاتماً من حديد»**. فاعتلَّ له، فقال: **«ما معكَ من القرآن؟»** قال: كذا وكذا. فقال: **«قد زوجتُكَها بما معك من القرآن»**[(١)].

وهذا الحديث متفقٌ على صحة إخراجه من طرقٍ عديدة، والغرض منه أن الذي قصده البخاري أنَّ هذا الرجل تعلَّم الذي تعلَّمه من القرآن، وأمره النبي ﷺ أن يُعلِّمه تلك المرأة، ويكون ذلك صَداقاً لها على ذلك.

وهذا فيه نزاعٌ بين العلماء، هل يجوز أن يُجعلَ صَداقاً؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: **«زوَّجتُكَها بما معكَ من القرآن»**؟ بسبب ما معك من القرآن، كما قاله أحمد ابن حنبل: نكرمك بذلك أو بِعِوَض ما مَعَكَ. وهذا أقوى؛ لقوله في **«صحيح مسلم»**: **«فعلِّمها»**[(٢)]، وهذا هو الذي أراده البخاري ها هنا، وتحرير باقي الخلاف مذكورٌ في باب النكاح والإجارة، وبالله المستعان.

القراءة عن ظهر قلب

إنما أفرد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم عن سهل بن سعد، الحديث الذي تقدم الآن، وفيه أنه عليه السلام قال لرجل: **«فما معك من القرآن؟»** قال: معي سورة كذا وكذا، لسُوَرٍ عدَّدها. قال: **«أتقرؤهنَّ عن ظهر قلبك؟»** قال: نعم. قال: **«اذهَبْ فقد ملَّكْتُكَها بما معكَ من القرآن»**[(٣)].

وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرةٌ بأن قراءة القرآن عن ظهر قلبٍ أفضل، والله أعلم. ولكن الذي صرَّح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٩).

(٢) صحيح مسلم (١٤٢٥) (٧٧).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٣٠).

المصحف أفضل؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف، وهو عبادة، كما صرح به غير واحدٍ من السلف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يومٌ لا ينظر في مصحفه، واستدلُّوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلَمُ أبو عبيد في كتابه «**فضائل القرآن**» حيث قال: حدثنا نُعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن سليم بن مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبيِّ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظهراً، كفضل الفريضة على النافلة**»[١] وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابُلسي، وأيّاً ما كان فهو ضعيف[٢].

وقال الثوري، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعود قال: أديموا النظرَ في المصحف[٣].

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن ماهِك، عن ابن عباس، عن عمر: أنه كان إذا دخل بيتَه نشرَ المصحف فقرأ فيه[٤].

وقال حماد أيضاً: عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود: أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف، فقرؤوا، وفسَّر لهم[٥]. إسناد صحيح.

وقال حماد بن سلمة: عن حجاج بن أرطأة، عن ثُوير بن أبي فاختة، عن ابن

---

(١) فضائل القرآن ص٤٦ .

(٢) والحقُّ أن إسناده ضعيف مسلسلٌ بالعلل، نعيم بن حماد كثير الخطأ، والأكثر على تضعيفه، وبقية بن الوليد مدلس، وقد عنعن فيه، وسليم بن مسلم متروك، وعبد الله بن عبد الرحمن لم يتبيَّن لي من هو.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٤٦ ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣١ ، والطبراني في «الكبير» (٨٦٩٦) وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري، به. وإسناده حسن.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٤٦ عن حجاج، عن حماد بن سلمة، به. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد: وهو ابن جدعان .

(٥) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٤٧ عن حجاج بن محمد، عن حماد بن سلمة، به.

عمر قال: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشُرِ المصحفَ ولْيقرَأْ[١].

وقال الأعمش عن خَيْثَمة: دخلتُ على ابن عمرو وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أقرأ به الليلة[٢].

فهذه الآثار تدلُّ على أن هذا أمرٌ مطلوبٌ لئلا يُعطَّلَ المصحفُ فلا يُقرأُ منه، ولعلَّه قد يقع لبعض الحفَظةِ نسيانٌ فيستذكر منه، أو تحريفُ كلمةٍ أو آيةٍ، أو تقديمٌ أو تأخير، فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال.

فأما تلقين القرآن فمِنْ فمِ الملقِّن أحسن؛ لأن الكتابة لا تدلُّ على الأداء، كما أنَّ المشاهَدَ من كثيرٍ ممَّن يحفظُ من الكتابة فقط يكثُر تصحيفُه وغلَطُه، وإذا أدَّى الحالُ إلى هذا مُنِعَ منه إذا وَجد شيخاً يوقف على ألفاظ القرآن، فأما عند العجز عمن يُلقِّن فلا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فإذا قرأ في المصحف ـ والحالةُ هذه ـ فلا حرجَ عليه، ولو فُرِضَ أنه قد يُحرِّف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه، فقد قال الإمام أبو عبيد: حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب، عن الأوزاعي، أنَّ رجلاً صَحِبَهم في سفرٍ قال: فحدَّثنا حديثاً ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ العبدَ إذا قرأ فحرَّفَ أو أخطأَ كتبَه الملَكُ كما أُنزِلَ»**[٣].

وحدثنا حفص بن غياث، عن الشَّيباني، عن بُكَير بن الأخنس قال: كان يُقال: إذا قرأ الأعجمي والذي لا يُقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل[٤].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٤٦ عن حجاج بن محمد، عن حماد بن سلمة، به. وإسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطأة.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٤٧ ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٠ ـ ٥٣١ من طريقين عن الأعمش، به، وإسناده صحيح.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٤٧ ، وإسناده ضعيف لإبهام الرجل الذي روى عنه الأوزاعي.

(٤) فضائل القرآن ص٤٧ ، وإسناده صحيح.

وقال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع فإذا كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر القلب فهو أفضل، وإن كان عند النظر في المصحف فهو أفضل، فإن استَويا فالقراءة نظراً أولى؛ لأنها أثبت، وتمتاز بالنظر في المصحف، قال الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله في «التبيان»: والظاهر أن كلام السلف وفِعْلَهم محمولٌ على هذا التفصيل[١].

* تنبيه:

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أنَّ تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضلُ منها في المصحف، ففيه نظر؛ لأنها قضية عين، فيَحتَمِلُ أن ذلك الرجل كان لا يُحسِنُ الكتابة، ويعلم ذلك رسولُ الله ﷺ منه، فلا يدلُّ على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضلُ مطلقاً في حقِّ مَنْ يُحسِنُ ومن لا يُحسِنُ، إذ لو دلَّ هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب ـ لأنه أميٌّ لا يدري الكتابة ـ أولى من ذِكْرِ هذا الحديث بمفرده.

الثاني: أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب؛ ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ها هنا: أن هذا أفضل من التلاوة نظراً، ولا عدَمُه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنما مَثَلُ صاحبِ القرآن كمثل صاحب الإبل المعلَّقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقَها ذهبت»**[٢].

هكذا رواه مسلم، والنسائي من حديث مالك، به[٣].

---

(١) التبيان ص١٠١ .

(٢) صحيح البخاري (٥٠٣١) .

(٣) صحيح مسلم (٧٨٩) (٢٢٦) ، وسنن النسائي ٢/ ١٥٤ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ القرآن إذا عاهد عليه صاحبُه فقرأه بالليل والنهار، كمثَلِ رجلٍ له إبل، فإن عقَلَها حفِظَها، وإن أطلق عِقالَها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن**»[١]. أخرجاه، قاله ابن الجوزي في «جامع المسانيد» وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق، به[٢].

وحدثنا محمد بن عَرعرة، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «**بِئسَ ما لأحدهم أن يقول: نسيتُ آيةَ كَيْتَ وكَيْتَ، بل نُسِيَ، واستذكروا القرآنَ فإنه أشدُّ تفصِّياً من صدور الرجال من النَّعم**» تابعه بشر ـ هو ابن محمد السَّختياني ـ عن ابن المبارك، عن شعبة[٣].

وقد رواه الترمذي، عن محمود بن غَيلان، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة، به. وقال: حسن صحيح[٤].

وأخرجه النسائي من رواية شعبة[٥].

وحدثنا عثمان، حدثنا جرير، عن منصور مثله[٦].

وهكذا رواه مسلم، عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم، عن جرير، به[٧].

وستأتي رواية البخاري له عن أبي نُعيم، عن سفيان الثوري، عن منصور، به.

---

(١) مسند أحمد (٤٩٢٣).

(٢) صحيح مسلم (٧٨٩) (٢٢٧).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٣٢).

(٤) سنن الترمذي (٤٩٢٢).

(٥) سنن النسائي ٢/ ١٥٤.

(٦) صحيح البخاري عقب الرواية (٥٠٣٢).

(٧) صحيح مسلم (٧٩٠) (٢٢٨).

والنسائي من رواية ابن عُيينة، عن منصور به. فقد رواه هؤلاء عن منصور، به مرفوعاً في رواية هؤلاء كلهم[١].

وقد رواه النسائي، عن قُتيبة، عن حماد بن زيد، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله موقوفاً[٢]. وهذا غريب.

وفي «مسند أبي يعلى»: «فإنما هو نُسِيَ» بالتخفيف[٣].

وتابعه ابن جريج عن عبدة، عن شقيق: سمعت عبد الله قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ[٤].

وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جُريج، به[٥].

ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن جُحادة، عن عَبْدة ـ وهو ابن أبي لُبابة ـ به[٦].

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بُريد، عن أبي بُردة، عن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ قال: «**تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفصِّياً من الإبل في عُقُلِها**»[٧].

وهكذا رواه مسلم عن أبي كُرَيب محمد بن العلاء وعبد الله بن بَرَّادِ الأشعري، كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة، به[٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٣٩)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٤٢).

(٢) سنن النسائي الكبرى (١٠٥٦).

(٣) مسند أبي يعلى (٥١٣٦).

(٤) صحيح البخاري عقب الرواية (٥٠٣٢).

(٥) صحيح مسلم (٧٩٠) (٢٣٠).

(٦) سنن النسائي (١٠٥٦٠).

(٧) صحيح البخاري (٥٠٣٣).

(٨) صحيح مسلم (٧٩١).

موسى بن عُلَيّ: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ عقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ﷺ: **«تعلَّموا كتابَ الله، وتعاهدوه وتغنَّوا به فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفلُّتاً من المخاض في العُقُل»**[١].

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده؛ لئلا يُعرِّضَه حافظُه للنسيان، فإن ذلك خطأٌ كبير، نسأل الله العافية منه، فإنه قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن رجل، عن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أمير عشرةٍ إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكُّه من ذلك الغِلِّ إلا العَدْلُ، [وما من رجلٍ قرأ القرآنَ فنسِيَه إلا لقي الله يوم القيامة يلقاه وهو أجذم»**[٢]][٣].

وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد، ومحمد بن فُضَيل، عن يزيد بن أبي زياد، كما رواه خالد بن عبد الله[٤].

وقد أخرجه أبو داود، عن محمد بن العلاء، عن ابن إدريس، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن سعد بن عبادة، عن النبيِّ ﷺ بقصة نسيان القرآن، ولم يذكر الرجل المبهم[٥].

وكذا رواه أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد[٦].

---

(١) مسند أحمد (١٧٣١٧).

(٢) مسند أحمد (٢٢٤٦٣)، وهو حديث صحيح لغيره دون قوله: «وما من رجل قرأ القرآن...»، وهذا إسناد ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، ولجهالة عيسى بن فائد، ولإبهام الراوي عن سعد بن عبادة.

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدركته من المسند.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٠٣ ـ ١٠٤ عن جرير، وابن أبي شيبة ١٠/٤٧٨ و ١٢/٢١٩ عن محمد بن فضيل.

(٥) سنن أبي داود (١٤٧٤).

(٦) وكذا رواه ابن عيينة فيما أخرجه عبد الرزاق (٥٩٨٩)، وزائدة فيما أخرجه عبد بن حميد (٣٠٧).

وقد رواه شعبة عن يزيد فوهم في إسناده[١].

ورواه وكيع عن أصحابه، عن يزيد، عن عيسى بن فائد، عن النبي ﷺ مرسلاً.

وقد رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبادة بن الصامت فقال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أمير عشرةٍ إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكُّه منها إلا عدلُه، وما من رجلٍ تعلَّم القرآن ثم نسِيَه إلا لقيَ اللهَ يوم القيامة أجذم»**[٢].

وكذا رواه أبو عوانة، عن يزيد بن أبي زياد[٣].

ففيه اختلاف، لكن هذا في باب الترهيب مقبول ـ والله أعلم ـ لا سيما إن كان له شاهدٌ من وجهٍ آخر، كما قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جُريج قال: حُدِّثتُ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرِضَتْ عليَّ أجورُ أمتي حتى القَذاةَ والبعرةَ يُخرجُها الرجلُ من المسجد، وعُرِضَتْ عليَّ ذنوبُ أمتي فلم أرَ ذنباً أكبرَ من آيةٍ أو سورةٍ من كتاب الله أُوتيها رجلٌ فنسيها»**. قال ابن جريج: وحُدِّثتُ عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أكبرَ ذنبٍ تُوافى به أمتي يوم القيامة سورةٌ من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيَها»**[٤].

وقد روى أبو داود، والترمذي، وأبو يعلى، والبزار، وغيرهم من حديث ابن أبي

---

(١) فقد جاء في بعض الروايات عنه أنه رواه على الجادة بمثل إسناد خالد وجرير وابن فضيل كما في مسند أحمد (٢٢٤٥٦)، وعبد بن حميد (٣٠٦) وروي عنه بأنه قال: عيسى بن لقيط بدلاً من عيسى بن فائد كما عند الطبراني في (٥٣٨٧) و (٥٣٩٠)، وفي بعض الروايات: عيسى بن فائد أو ابن لقيط على الشك كما عند البزار (٣٧٣٩)، وفي رواية أخرى: عن عيسى بن لقيط أو إياد بن لقيط كما عند الخطيب في «الجامع» (٨٦).

(٢) مسند أحمد (٢٢٧٥٨).

(٣) وأخرجه من طريقه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢٢٧٨١).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ص١٠٣ و القذاة: ما يقع في العين من وسخ وغير ذلك. النهاية (قذا).

رَوَّاد، عن ابن جُريج، عن المطلب بن عبد الله بن حَنْطَب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ أجورُ أمتي حتى القذاةَ يُخرِجُها الرجلُ من المسجد، وعُرِضَتْ عليَّ ذنوبُ أمتي، فلم أرَ ذنباً أعظمَ من سورةٍ من القرآن أو آيةٍ أُوتيها رجلٌ ثم نسيَها**» قال الترمذي: غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرتُ به البخاري فاستغربه، وحكى البخاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك[١].

قلت: وقد رواه محمد بن يزيد الأدَمي، عن ابن أبي رَوَّاد، عن ابن جُريج، عن الزهري، عن أنس عن النبي ﷺ، به. والله أعلم.

وقد أدخل بعضُ المفسِّرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، وهذا الذي قاله هذا ـ وإن لم يكن هو المرادُ جميعُه ـ فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضَه للنسيان وعدمَ الاعتناء به فيه تهاونٌ كبيرٌ وتفريطٌ شديد، نعوذ بالله منه؛ ولهذا قال عليه السلام: «**تعاهدوا القرآن**»، وفي لفظ: «**استذكروا القرآن، فإنه أشدُّ تفصِّياً من صدور الرجال من النَّعَم**»[٢].

التَّفَصِّي: التخلُّص، يقال: تَفَصَّى فلانٌ من البلية: إذا تخلَّص منها، ومنه: تفصَّى النَّوى من التمرة: إذا تخلص منها، أي: إن القرآن أشدُّ تفلتاً من الصدور من النعم إذا أُرسلت من غير عقال.

وقال أبو عبيد: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبْد الله ـ يعني ابن مسعود ـ: إني لأمقتُ القارئ أن أراه سميناً نسِيّاً للقرآن[٣].

---

(١) سنن أبي داود (٤٦١)، وسنن الترمذي (٢٩١٦)، ومسند أبي يعلى (٤٢٦٥)، وفي إسناده ـ أيضاً ـ ابن جريج، وهو مدلس، وقد عنعن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) فضائل القرآن ص١٠٤، وإسناده منقطع بين إبراهيم ـ وهو النخعي ـ وبين ابن مسعود.

حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز بن أبي روَّاد قال: سمعتُ الضحاك ابن مُزاحم يقول: ما من أحدٍ تعلَّمَ القرآنَ ثم نسِيَه إلا بذنبٍ يُحدِثُه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب[١].

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره: يُكره للرجل أن يمرَّ عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن، كما أنه يُكره له أن يقرأه في أقلَّ من ثلاثة أيام، كما سيأتي هذا، حيث يذكره البخاري بعد هذا، وكان الأليَقُ أن يُتبِعَه هذا الباب، ولكن ذكر بعد هذا قولَه:

القـــراءة عـــلى الدابـــة

حدثنا حجاج، حدثنا شعبة، أخبرني أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مُغَفَّل ﷺ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح[٢].

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق، عن شعبة، عن أبي إياس ـ وهو معاوية بن قُرَّة ـ به[٣].

وهذا ـ أيضاً ـ له تعلُّقٌ بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً، ولا يُكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يَلْتهِ القارئ في الطريق، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذِن في ذلك، وعن الإمام مالك أنه كرِهَ ذلك، كما قال ابن أبي داود: وحدثني أبو الربيع، أخبرنا ابن وهب قال: سألتُ مالكاً عن الرجل يصلي في آخر الليل، فيخرج إلى المسجد، وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء، فقال: ما أعلم القراءة تكون في الطريق.

---

(١) فضائل القرآن ص١٠٤ ، وإسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٣٤) .

(٣) صحيح مسلم (٧٩٤) ، وسنن أبي داود (١٤٦٧) ، وشمائل الترمذي (٣٠٢) ، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٦٢) .

وقال الشعبي: تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن: في الحمام، وفي الحشوش، وفي بيت الرَّحى وهي تدور.

وخالفه في القراءة في الحمام كثيرٌ من السلف: أنها لا تكره، وهو مذهب مالك، والشافعي، وإبراهيم النخَعي، ومحكيٌّ عن أبي حنيفة ـ رحمهم الله ـ أن القراءة في الحمام تُكره، وأمَّا القراءة في الحشوش فكراهتها ظاهرة، ولو قيل بتحريم ذلك صيانةً لشرف القرآن لكان مذهباً، وأما القراءة في بيت الرَّحى وهي تدور؛ فلئلا يعلوَ غيرُ القرآن عليه، والحقُّ يعلو ولا يُعلى، والله أعلم.

تعليم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبير قال: إن الذي تدعونه المفصَّل هو المحكم. قال: وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابنُ عشر سنين وقد قرأتُ المحكم[١].

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشيم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: جمعتُ المُحكم في عهد النبيِّ ﷺ، فقلتُ له: وما المحكم؟ قال: «**المُفصَّل**»[٢]. انفرد بإخراجه البخاري، وفيه دلالةٌ على جواز تعلم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سِنِّه حين موت الرسول ﷺ، وقد كان جمع المفصَّل ـ وهو من الحجرات كما تقدم ذلك ـ وعمره آنذاك عشر سنين.

وقد روى البخاري أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون[٣]. كانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم، فيَحتَمِلُ أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر، وترك ما زاد عليها من الكسر، والله أعلم.

وعلى كل تقدير، ففيه دلالةٌ على جواز تعليمهم القرآن في الصِّبا، وهو ظاهر، بل

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٣٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٢٩٩).

قد يكون مستحبّاً أو واجباً؛ لأنَّ الصبيَّ إذا تعلَّم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحِفْظُه في الصغر أولى من حِفْظِه كبيراً، وأشدُّ علوقاً بخاطره وأرسخ وأثبت، كما هو المعهود من حال الناس، وقد استحَبَّ بعض السلف أن يُترك الصبيُّ في ابتداء عمره قليلاً للَّعب، ثم توفَّر هِمَّته على القراءة؛ لئلا يُلزمَ أولاً بالقراءة فيملَّها ويعدلَ عنها إلى اللعب، وكرِهَ بعضهم تعليمهم القرآن وهو لا يعقل ما يُقال له، ولكن يُترك حتى إذا عقل وميَّز عُلِّمَ قليلاً قليلاً، بحسب هِمَّتِهِ ونهمَتِهِ وحفظِهِ وجودةِ ذهنه، واستحبَّ عمر ابن الخطاب ﷺ أن يُلقَّنَ خمس آياتٍ. رويناه عنه بسند جيد[١].

نسيان القرآن

وهل يقول: نسيتُ آيةَ كذا وكذا، وقول الله تعالى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى:٦،٧]

حدثنا الربيع بن يحيى، حدثنا زائدة، حدثنا هشام، عن عروة، عن عائشة قالت: لقد سمِعَ النبيُّ ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: **«يرحَمُه الله، لقد أذكرني كذا وكذا من سورة كذا»**. انفرد به.

وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون، حدثنا عيسى بن يونس، عن هشام، وقال: **«أسقطتُهنَّ من سورة كذا وكذا»**. انفرد به أيضاً. تابعه علي بن مُسْهر وعَبْدة، عن هشام[٢].

وقد أسندهما البخاري في موضعٍ آخر، ومسلم معه في عبدة[٣].

وحدثنا أحمد بن أبي رجاء، حدثنا أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ سورة بالليل فقال: **«يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنتُ أُنسيتُها من سورة كذا وكذا»**[٤].

---

(١) مسند الفاروق ١/ ١٧٠ .

(٢) صحيح البخاري (٥٠٣٧) .

(٣) صحيح البخاري (٦٣٣٥) ، وصحيح مسلم (٧٨٨) (٢٢٥) .

(٤) صحيح البخاري (٥٠٣٨) .

ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة[١].

الحديث الثاني: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بِئْسَ ما لأحدهم أن يقول: نسيتُ آيةَ كَيْتَ وكَيْتَ، بل هو نُسِّي**»[٢].

ورواه مسلم، والنسائي، من حديث منصور، به[٣]. وقد تقدم.

وفي «**مسند أبي يعلى**»: «**فإنما هو نُسِيَ**»[٤] بالتخفيف، هذا لفظه.

وفي هذا الحديث والذي قبله دليلٌ على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقصٍ له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص، وفي حديث ابن مسعود أدبٌ في التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت آية كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد يصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المُفضي إلى ذلك، فأما النسيانُ نفسُه فليس بفعله؛ ولهذا قال: «**بل هو نُسِي**»، مبنيٌّ لما لم يُسمَّ فاعله، وأدبٌ ـ أيضاً ـ في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] وهو ـ والله أعلم ـ من باب المجاز السائغ بذكر المُسبَّب وإرادة السبب؛ لأن النسيان إنما يكون عن سببٍ قد يكون ذنباً، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم، فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان انزاح، فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم.

من لم يَرَ بأساً أن يقول:
سورة البقرة، وسورة كذا وكذا

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن

---

(١) صحيح مسلم (٧٨٨) (٢٢٤).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٣٩).

(٣) صحيح مسلم (٧٩٠)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٤٢).

(٤) مسند أبي يعلى (٥١٣٨).

علقمة وعبد الرحمن بن يزيد، عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأ بهما في ليلةٍ كفتاه»**[١].

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد، وصاحبا الصحيح، والنسائي، وابن ماجه من حديث علقمة، كلاهما عن أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري البدري[٢].

الحديث الثاني: ما رواه من حديث الزهري، عن عروة، عن المِسْوَر وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ، كلاهما عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم بن حِزام يقرأ سورة الفرقان ... وذكر الحديث بطوله، كما تقدم، وكما سيأتي[٣].

الحديث الثالث: ما رواه من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمعَ رسول الله ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: **«يرحَمُه الله، لقد اذكرني كذا وكذا آية، كنت أسقطْتُهنَّ من سورة كذا وكذا»**[٤].

وهكذا في **«الصحيحين»** عن ابن مسعود: أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول: هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة[٥].

وكره بعض السلف ذلك، ولم يَروا إلا أن يقال: السورة التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا، كما تقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس، عن عثمان أنه قال: إذا نزل من القرآن شيءٌ يقول رسول الله ﷺ: **«اجعلوا هذا في السورة التي يُذكر فيها كذا**

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٠٠٨) و (٥٠٠٨) و (٥٠١٥)، وصحيح مسلم (٨٠٧) و (٨٠٨)، وسنن أبي داود (١٣٩٧)، وسنن الترمذي (٢٨٨١)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠١٨) و (٨٠١٩)، وسنن ابن ماجه (١٣٦٨) و (١٣٦٩).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٤١).

(٤) صحيح البخاري (٥٠٤٢).

(٥) صحيح البخاري (١٧٤٧)، وصحيح مسلم (١٢٩٦).

وكذا»، ولا شكَّ أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحَّتِ الأحاديث بالرخصة في الآخر، وعليه عملُ الناس اليوم في ترجمة السُّوَر في مصاحفهم، وبالله التوفيق.

الترتيل في القراءة

وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ويكره أن يُهَذَّ كهَذِّ الشعر، يفرق: يفصل، قال ابن عباس: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾: فصلناه.

حدثنا أبو النعمان، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا واصل، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: غدَونا على عبد الله، فقال رجلٌ: قرأتُ المفصَّلَ البارحة، فقال: هذًّا كهذِّ الشعر، إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظُ القراءاتِ التي كان يقرأ بهنَّ النبيُّ ﷺ ثمان عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم[١].

ورواه مسلم عن شيبان بن فَرُّوخ، عن مهدي بن ميمون، عن واصل ـ وهو ابن حيَّان الأحدب ـ عن أبي وائل شَقيق بن سلمة، عن ابن مسعود، به[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا قُتيبة، حدثنا ابن لَهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نُعيم، عن مسلم بن مِخْراق، عن عائشة أنه ذُكِرَ لها أنَّ ناساً يقرؤون القرآن في الليل مرةً أو مرتين، فقالت: أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنتُ أقومُ مع النبيِّ ليلةَ التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُّ بآيةٍ فيها [تخوُّفٌ إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمرُّ بآيةٍ فيها][٣] استبشارٌ إلا دعا الله ورغب إليه[٤].

الحديث الثاني: حدثنا قُتيبة، حدثنا جَرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد ابن جُبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٣).

(٢) صحيح مسلم (٨٢٢).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدركته من مسند أحمد.

(٤) مسند أحمد (٢٤٦٠٩)، وهو حديث صحيح لغيره.

[القيامة:١٦]: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يُحرِّك به لسانَه وشفتَيه فيشتدُّ عليه. وذكر تمام الحديث كما سيأتي[١]، وهو متفقٌ عليه، وفيه وفي الذي قبله دليلٌ على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمةٍ ولا سرعةٍ مفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ ﷺ: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارقَ، ورتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ في الدنيا، فإن منزِلَكَ عند آخر آيةٍ تقرؤها**»[٢].

وقال أبو عُبيد: حدثنا جَرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قرأ علقمة على عبد الله، فكأنه عجل، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رتِّلْ فإنه زَيْنُ القرآن. قال: وكان علقمة حسنَ الصوت بالقرآن[٣].

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن أبي جمرة قال: قلتُ لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. فقال: لأن أقرأ البقرةَ في ليلةٍ فأدَّبرَها وأُرتِّلَها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كما تقول[٤].

وحدثنا حجاج، عن شعبة وحماد بن سلمة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس نحو ذلك، إلا أن في حديث حماد: أحب إليّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة[٥].

ثم قال البخاري رحمه الله:

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٤).

(٢) مسند أحمد (٦٧٩٩)، وهو حديث صحيح لغيره.

(٣) فضائل القرآن ص٧٤.

(٤) فضائل القرآن ص٧٤.

(٥) فضائل القرآن ص٧٤.

مـــد القـــراءة

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم الأزدي، حدثنا قَتادة قال: سألتُ أنس بن مالك عن قراءة النبيِّ ﷺ، فقال: كان يمدُّ مدّاً[١].

وهكذا رواه أهل السنن، من حديث جرير بن حازم، به[٢].

وحدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همَّام، عن قَتادة قال: سُئِلَ أنس بن مالك: كيف كانت قراءةُ النبيِّ ﷺ؟ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمد بالرحيم[٣]. انفرد به البخاري من هذا الوجه.

وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد: حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عن يعلى بن مَملك، عن أم سلمة: أنها نعتَتْ قراءَةَ رسول الله ﷺ مفسَّرة حرفاً حرفاً[٤].

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن يحيى بن إسحاق. وأبو داود، عن يزيد ابن خالد الرَّملي. والترمذي والنسائي، كلاهما عن قُتيبة، كلُّهم عن الليث بن سعد، به. وقال الترمذي: حسن صحيح[٥].

ثم قال أبو عبيد: وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يُقطِّع قراءته؛ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. وهكذا[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٥).

(٢) سنن أبي داود (١٤٦٥) وسنن النسائي ٢/ ١٧٩، وشمائل الترمذي (٣٠٨)، وسنن ابن ماجه (١٣٥٣).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٤٦).

(٤) فضائل القرآن ص٧٤، وإسناده ضعيف لجهالة يعلى بن مملك.

(٥) مسند أحمد (٢٦٥٢٦)، وسنن أبي داود (١٤٦٦)، وسنن النسائي ٢/ ١٨١، وسنن الترمذي (٢٩٢٣).

(٦) فضائل القرآن ص٧٤، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٢٦٥٨٣) عن يحيى بن سعيد الأموي، به. وهو حديث صحيح لغيره.

رواه أبو داود، والترمذي من حديث ابن جُريج. وقال الترمذي: غريبٌ وليس إسناده بمتصل[١]. يعني: أن عبد الله بن عُبيد الله بن أبي مُلَيْكة لم يسمعه من أم سلمة، وإنما رواه عن يعلى بن مَمْلَك، كما تقدم، والله تعالى أعلم.

التَّرجيع

حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إياس قال: سمعتُ عبد الله بن مُغَفَّل قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وهو على ناقته ـ أو جملة ـ وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح قراءةً لينةً وهو يُرَجِّع[٢].

وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتَّفق عليه، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح، وأما الترجيع: فهو الترديد في الصوت كما جاء ـ أيضاً ـ في البخاري أنه جعل يقول: (آآآ)، وكان ذلك صدَرَ من حركة الدابة تحته، فدلَّ على جواز التلاوة عليها، وإن أفضى إلى ذلك، ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف، بل ذلك مغتفرٌ للحاجة، كما يُصلَّى على الدابة حيث توجهت به، مع إمكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة، والله أعلم.

حُسْنُ الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر، حدثنا أبو يحيى الحِمَّاني، حدثنا بُريد بن عبد الله بن أبي بُردة، عن جدِّه أبي بُردة، عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال: **«يا أبا موسى، لقد أوتيتَ مِزماراً من مزامير آل داود»**[٣].

وهكذا رواه الترمذي، عن موسى بن عبد الرحمن الكندي، عن أبي يحيى الحِمَّاني ـ واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن ـ وقال: حسن صحيح[٤].

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٠٠١)، وسنن الترمذي (٢٩٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٤٧).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٤٨).

(٤) سنن الترمذي (٣٨٥٥).

وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبي بُردة، عن أبي موسى، وفيه قصة[١].

وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري: من لم يتغنَّ بالقرآن، وذكرنا هنا أحكاماً أغنى عن إعادتها ها هنا، والله أعلم.

من أحب أن يسمع القرآن من غيره

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي النبيُّ ﷺ: **«اقرأ عليَّ القرآن»**. قلتُ: أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟! قال: **«إني أُحِبُّ أن أسمعَه من غيري»**[٢].

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه، من طرقٍ عن الأعمش[٣].

وله طرقٌ يطول بَسْطُها، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبي بُردة، عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ قال له: **«يا أبا موسى، لو رأيتَني وأنا أستمعُ لقراءتك البارحة»**. فقال: أما واللهِ لو أعلمُ أنك تستمِعُ قراءتي لحَبَّرتُها لكَ تحبيراً.

وقال الزُّهري، عن أبي سلمة: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكِّرْنا ربَّنا يا أبا موسى. فيقرأ عنده.

وقال أبو عثمان النَّهدي: كان أبو موسى يصلِّي بنا، فلو قلتَ: إني لم أسمَعْ صوتَ صنجٍ قطُّ ولا بربطٍ قطُّ، ولا شيئاً قطُّ أحسن من صوته.

قول المقرئ للقارئ: حسبك

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عَبيدة،

---

(١) صحيح مسلم (٧٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٤٩).

(٣) صحيح مسلم (٨٠٠)، وسنن أبي داود (٣٦٦٨)، وسنن الترمذي (٣٠٢٥)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٧٥).

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ**». فقلت: يا رسول الله، أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟! قال: «**نعم**»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى أتيتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**حسبُكَ الآن**» فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذْرِفان[١].

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه، من رواية الأعمش، به[٢].

ووجه الدِّلالة ظاهر، وكذا الحديث الآخر: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفَتْ عليه قلوبكم، فإذا اختلفْتُمْ فقوموا**»[٣].

في كَمْ يُقرأ القرآن

وقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]

حدثنا علي، حدثنا سفيان، قال: قال لي ابن شُبْرُمة: نظرتُ كم يكفي الرجلَ من القرآن فلم أجِدْ سورةً أقلَّ من ثلاث آيات. فقلتُ: لا ينبغي لأحدٍ أن يقرأ أقلَّ من ثلاث آيات. قال سفيان: أخبرنا منصور، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، أخبره علقمة، عن أبي مسعود، فلقيتُه وهو يطوف بالبيت، فذكر قولَ النبيِّ ﷺ: «**إنَّ من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفَتاه**»[٤].

وقد تقدم أن هذا الحديث متفقٌ عليه، وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن ابن يزيد وعلقمة، عن أبي مسعود، وهو صحيح؛ لأنَّ عبد الرحمن سمعه أولاً من علقمة، ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه، وعليٌّ هذا هو ابن المَديني، وشيخه سفيان بن عُيينة، وما قاله عبد الله بن [شُبْرُمة ـ فقيه][٥] الكوفة في زمانه ـ

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٠).

(٢) صحيح مسلم (٨٠٠)، وسنن أبي داود (٣٦٦٨)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٧٨)، وشمائل الترمذي (٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٠)، ومسلم (٢٦٦٧) من حديث جندب بن عبد الله.

(٤) صحيح البخاري (٥٠٥١).

(٥) ما بين حاصرتين سقط من الأصل الخطي واستدركته من طبعة دار طيبة.

استنباطٌ حسن، وقد جاء في حديثٍ في السنن: «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات**»[١]، ولكن هذا الحديث ـ أعني حديث أبي مسعود ـ أصحُّ وأشهر وأخَصُّ، ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر، والله أعلم.

والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عَوانة، عن مغيرة، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأةً ذات حسبٍ، فكان يتعاهد كَنَّتَه فيسألها عن بعلها، فتقول: نِعْمَ الرجلُ من رجلٍ لم يطأ لنا فراشاً، ولم يُفتِّشْ لنا كنفاً منذُ أتيناه. فلمَّا طالَ ذلك عليه ذكر للنبيِّ ﷺ، فقال: «**ألْقَني به**» فلقيتُه بعد، فقال: «**كيف تصوم؟**». قلتُ: كلَّ يوم. قال: «**وكيف تختم؟**». قال: كلَّ ليلة. قال: «**صُمْ ثلاثةَ أيامٍ في الجمعة**». قلتُ: أُطيقُ أكثرَ من ذلك. قال: «**أفطِرْ يومين وصُمْ يوماً**». قلتُ: أُطيقُ أكثرَ من ذلك. قال: «**صُمْ أفضلَ الصوم صومَ داود، صيامَ يوم وإفطارَ يوم، واقرأ في كلِّ سبع ليالٍ مرةً**»، فليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ، وذلك أني كبِرتُ وضعُفتُ، فكان يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضُه بالنهار، ليكون أخفَّ عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أياماً، وأحصى وصام مثلهنَّ، كراهيةَ أن يترك شيئاً فارق عليه النبيَّ ﷺ[٢]. وقال بعضهم: في ثلاثٍ وفي خمسٍ. وأكثرُهم على سبع.

وقد رواه في الصوم، والنسائي ـ أيضاً ـ عن بُنْدار، عن غُنْدَر، عن شعبة، عن مغيرة. والنسائي من حديث حُصَين، كلاهما عن مجاهد، به[٣].

ثم روى البخاري، ومسلم، وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير، عن محمد ابن عبد الرحمن ـ مولى بني زُهرة [٤] ـ عن أبي سلمة ـ قال: وأحسِبُني قال: سمعتُ

---

(١) لم أقف عليه في إحدى السنن الأربعة، وإنما أخرجه بنحوه ابن عدي في «الكامل» ٥/١٦٨٩ من حديث ابن عمر، وفي إسناده عمر بن يزيد المدائني، وهو منكر الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٥٢).

(٣) صحيح البخاري (١٩٧٨)، وسنن النسائي ٤/٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٤) تحرف في النسخة الخطية إلى «مولى أبي هريرة» والتصويب من الصحيحين.

أنا من أبي سلمة ـ عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبيُّ ﷺ: **«اقرأ القرآن في شهر»**. قلتُ: إني أجد قوةً. قال: **«فاقرأه في سبع ولا تزِدْ على ذلك»**[١].

فهذا السياق ظاهِرُه يقتضي المنعَ من قراءة القرآن في أقلَّ من سبع، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد: حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بُكير، كلُّهم عن ابن لَهيعة، عن حَبَّان بن واسع، عن أبيه، عن قيس بن أبي صَعْصَعة، أنه قال للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، في كم أقرأُ القرآن؟ فقال: **«في كلِّ خمسَ عشرة»**. قال: إني أجد فيَّ أقوى من ذلك. قال: **«ففي كل جمعة»**[٢].

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان ـ رجلٍ من أهل الكوفة ـ قال: سمعتُ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة[٣].

وعن حجاج، عن شعبة، عن أيوب: سمعت أبا قِلابة، عن أبي المُهَلَّب: قال: كان أبيُّ بنُ كعب يختم القرآن في كلِّ ثمان[٤].

[وحدثنا علي بن عاصم، عن خالد، عن أبي قلابة قال: كان أبيُّ بنُ كعب يختم القرآن في كلِّ ثمان،][٥] وكان تميم الداري يختمه في كلِّ سبع[٦].

وحدثنا هُشَيْم، [عن الأعمش، عن إبراهيم: أنه كان يختم القرآن في كلِّ سبع[٧].

وحدثنا جرير، عن منصور،][٨] عن إبراهيم قال: كان الأسود يختم القرآن في

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٣)، وصحيح مسلم (١١٥٩)، وسنن أبي داود (١٣٨٨)، وعنده من طريق أبان بن يزيد العطار، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، به.

(٢) فضائل القرآن ص٨٧، وفي إسناده ابن لهيعة ـ وهو عبد الله ـ وهو سيئ الحفظ.

(٣) فضائل القرآن ص٨٧، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن ذكوان الكوفي.

(٤) فضائل القرآن ص٨٨.

(٥) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأثبته من فضائل القرآن.

(٦) فضائل القرآن ص٨٨.

(٧) فضائل القرآن ص٨٨.

(٨) ما بين حاصرتين سقط من النسخة الخطية، وأثبته من فضائل القرآن.

كلٌ ست، وكان علقمة يختمه في كلٌ خمس[١].

فلو تركنا ومجرَّدَ هذا لكان الأمر في ذلك جليّاً، ولكن دلَّتْ أحاديثُ أُخَر على جواز قراءته فيما دون ذلك، كما رواه الإمام أحمد في «مسنده»: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حَبَّان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله، أقرأُ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم». قال: قال: فكان يقرؤه حتى تُوفِّي[٢]. وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ حسن، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقةٌ متفقٌ على جلالته، روى له الجماعة. وابنُ لَهِيعة إنما يُخشى من تدليسه أو سوء حفظه، وقد صرح ها هنا بالسماع، وهو من الأئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه، وشيخه حَبَّان بن واسع بن حَبَّان وأبوه، كلاهما من رجال مسلم، والصحابي لم يُخرِّجْ له أحدٌ من أهل الكتب الستة، وهذا على شرط كثيرٍ منهم، والله أعلم.

وقد رواه أبو عُبيد رحمه الله، عن ابن بُكير، عن ابن لَهيعة، عن حَبَّان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله، أقرأُ القرآنَ في ثلاث؟ قال: «**نعم، إن استطَعْتَ**». قال: فكان يقرؤه كذلك حتى تُوفِّي[٣].

حديث آخر: قال أبو عُبيد: حدثنا يزيد، عن همَّام، عن قَتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقَهُ من قرأه في أقلَّ من ثلاث**»[٤].

وهكذا أخرجه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة من حديث قَتادة، به. وقال الترمذي: حسنٌ صحيح[٥].

---

(١) فضائل القرآن ص٨٨.

(٢) مسند أحمد (٢٤٠٠٩/ ١٢).

(٣) فضائل القرآن ص٨٨.

(٤) فضائل القرآن ص٨٩.

(٥) مسند أحمد (٦٥٣٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٤)، وسنن الترمذي (٢٩٤٩)، وسنن النسائي الكبرى (٨٠٦٧)، وسنن ان ماجه (١٣٤٧).

حديث آخر: قال أبو عُبيد: حدثنا يوسف الغَرِق، عن الطيب بن سليمان، حدَّثتنا عَمرة بنت عبد الرحمن، أنها سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآنَ في أقلَّ من ثلاث[١]. هذا حديثٌ غريبٌ، وفيه ضعف، فإن الطيب بن سليمان هذا بصريٌّ، ضعَّفه الدارقطني، وليس هو بذاك المشهور، والله أعلم[٢].

وقد كرِهَ غيرُ واحدٍ من السلف قراءةَ القرآن في أقلَّ من ثلاث، كما هو مذهب أبي عُبيد وإسحاق بن راهَويه وغيرهما من الخلف أيضاً، قال أبو عُبيد: حدثنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآنُ في أقلَّ من ثلاث[٣]. صحيح.

وحدثنا يزيد، عن سفيان، عن علي بن بَذيمة، عن أبي عُبيدة قال: قال عبد الله: من قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث فهو راجز. وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله مثله سواء[٤].

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود، عن أبيه؛ أنه كان يقرأ القرآنَ في رمضان في ثلاث[٥]. إسناده صحيح.

[وفي «المسند» عن عبد الرحمن بن شِبْل مرفوعاً: **«اقرؤوا القرآن، ولا تغلُّوا فيه، ولا تَجفُوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكْثِروا به»**[٦].

فقوله: **«لا تغلوا فيه»** أي: لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة، فإن ذلك ينافي التدبر غالباً؛ ولهذا قابله بقوله: **«ولا تجفوا عنه»** أي: لا تتركوا تلاوته][٧].

---

(١) فضائل القرآن ص٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) وفي إسناده ـ أيضاً ـ يوسف بن الغرق، وهو ضعيف، وكذبه الأزدي.

(٣) فضائل القرآن ص٨٩ .

(٤) فضائل القرآن ص٨٩ ـ ٩٠ .

(٥) فضائل القرآن ص٩٠ .

(٦) مسند أحمد (١٥٥٢٩) ، وهو حديث صحيح.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من طبعة دار طيبة.

فصـــل

وقد ترخَّص جماعةٌ من السلف في تلاوة القرآن في أقلَّ من ذلك، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

قال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جُريج، أخبرني ابنُ خُصَيفة، عن السائب ابن يزيد، أنَّ رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التَّيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله، فقال: إن شئتَ أخبرتُكَ عن صلاة عثمان ﷺ. فقال: نعم. قال: قلتُ: لأغلِبَنَّ الليلةَ على الحِجْر، فقمتُ، فلما قمتُ إذا أنا برجلٍ مُقنَّعٍ يزحَمُني، فنظرتُ فإذا عثمان بن عفان ﷺ، فتأخرتُ عنه فصلَّى، فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلتُ: هذه هوادي الفجر، أوتر بركعةٍ لم يُصلِّ غيرَها[١]. وهذا إسنادٌ صحيح.

ثم قال: حدثنا هُشَيْم، أخبرنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت نائلة بنت الفُرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن يقتلوه أو يدعوه، فقد كان يُحيي الليل كلَّه بركعةٍ يجمع فيها القرآن[٢]. وهذا حسن.

وقال أيضاً: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن ابن سيرين: إنَّ تميماً الداريَّ قرأ القرآن في ركعة[٣].

حدثنا حجاج، عن شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأتُ القرآن في ركعةٍ في البيت. يعني الكعبة[٤].

وحدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة، طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى

---

(١) فضائل القرآن ص٩٠.

(٢) فضائل القرآن ص٩٠ ـ ٩١.

(٣) فضائل القرآن ص٩١.

(٤) فضائل القرآن ص٩١.

عنده، فقرأ بقية القرآن[١].

وهذه كلها أسانيد صحيحة، ومن أغرب ما هاهنا ما رواه أبو عُبيد رحمه الله: حدثنا سعيد بن عُفَيْر، عن بكر بن مضر، أن سُلَيم بن عِتْر التُّجيبي كان يقرأ القرآن في ليلةٍ ثلاث مرات، ويُجامع ثلاث مرات. قال: فلما مات قالتِ امرأتُه: رحمكَ الله، إن كنتَ لتُرضي ربَّكَ، وتُرضي أهلك. قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، ويخرج إلى صلاة الصبح[٢].

قلت: كان سُليم بن عِتْر تابعياً جليلاً ثقةً نبيلاً، وكان قاضياً بمصر أيام معاوية وقاصَّها، ثم قال أبو حاتم: روى عن أبي الدرداء، وعنه ابنُ زَحْر، ثم قال: حدثني محمد بن عوف، عن أبي صالح كاتب الليث، حدثني حَرْمَلة بن عمران، عن كعب بن علقمة، قال: كان سليم بن عِتْر من خير التابعين[٣]. وذكره ابن يونس في تاريخ مصر.

وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء.

وعن منصور قال: كان علي الأزدي يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء كلَّ ليلةٍ من رمضان[٤].

وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبي يحتبي، فما يُحِلُّ حَبْوته حتى يختم القرآن[٥].

---

(١) فضائل القرآن ص٩١.

(٢) فضائل القرآن ص٩١.

(٣) الجرح والتعديل ٤/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥٠٣ من طريق منصور عن مجاهد عن علي الأزدي أنه كان يختم القرآن في رمضان كل ليلة، وكان ينام بين المغرب والعشاء.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ١٧٠.

قلت: وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخِّرونها قليلاً.

وعن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين، وفي غيره ختمة[١].

وعن أبي عبد الله البخاري ـ صاحب الصحيح ـ أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة[٢].

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي الصوفي قال: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات.

وهذا نادرٌ جداً، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمولٌ إما على أنه ما بَلَغهم في ذلك حديثٌ مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه مع هذه السرعة، والله أعلم[٣].

قال الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب «**التبيان**» بعد ذكر طرف مما تقدم: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان له بدقيق الفكر لطائفُ ومعارفُ فليقتصِرْ على قدْرٍ يحصُلُ له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصِرْ على قدْرٍ لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مرصدٌ له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثِرْ مما أمكنه من غير خروجٍ إلى حدِّ الملل والهَذْرَمة[٤].

ثم قال البخاري رحمه الله:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٩/ ١٣٤ .

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٢/ ١٢ .

(٣) التبيان ص٦٩ .

(٤) التبيان ص٦٩ .

البكاء عند القراءة

وأورد فيه من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن عَبيدة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرَأْ عليَّ**». قلت: أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟ قال: «**إني أشتهي أن أسمعَه من غيري**». قال: فقرأتُ حتى إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي: «**كفَّ**» أو «**أمسِكْ**»، فإذا عيناه تذْرِفان[١].

وهذا من المتفق عليه كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله.

من راءى بقراءة القرآن أو تأكَّل به أو فخَرَ به

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن خَيْثَمة، عن سُوَيد بن غَفَلة، عن عليٍّ ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاءُ الأسنان، سُفهاءُ الأحلام، يقولون من خير قول البريَّة، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة، لا يُجاوز إيمانُهم حناجِرَهم، فأينما لقيتُموهم فاقتُلوهم، فإنَّ قَتْلَهم أجرٌ لمن قتَلَهم يوم القيامة**»[٢].

وقد رواه في موضعين آخرين، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، من طرقٍ عن الأعمش، به[٣].

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخُدري قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يخرجُ فيكم قوم تَحقِرون صلاتَكم مع صلاتِهم،**

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٥٧).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٥٧) و (٦٩٣٠)، وصحيح مسلم (١٠٦٦) (١٥٤)، وسنن أبي داود برقم (٤٧٦٧)، وسنن النسائي ٧/ ١١٩.

وصيامَكم مع صيامِهم، وعملَكم مع عملِهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرُقون من الدين كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة، ينظُرُ في النَّصلُ فلا يرى شيئاً، وينظر في القِدْحِ فلا يرى شيئاً، وينظر في الرِّيش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفُوَق»[١].

ورواه في موضعٍ آخر، ومسلم ـ أيضاً ـ والنسائي، من طرقٍ عن الزُّهري، عن أبي سلمة، به[٢].

وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، به[٣].

حدثنا مُسَدَّد بن مُسَرْهَد، حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قَتادة، عن أنس ابن مالك، عن أبي موسى رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجَّة طعمُها طيِّبٌ وريحُها طيِّبٌ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعملُ به كالتمرة طعمُها طيِّب ولا ريحَ لها، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرأ القرآن كالرَّيحانة ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمُها مرٌّ أو خبيثٌ وريحُها مُرٌّ»**[٤].

ورواه في مواضعَ أُخَر مع بقية الجماعة من طرقٍ، عن قَتادة، به[٥].

ومضمون هذه الأحاديث التحذير التحذير من المُراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القُرَب، كما جاء في الحديث: **«واعلَمْ أنك لن تتقرَّبَ إلى الله بأعظمَ مما خرَجَ منه»**. يعني: القرآن[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٨)، والفُوَق: موضع الوتر من السهم. «النهاية» (فوق).

(٢) صحيح البخاري (٣٦١٠) و (٦٩٣٣)، وصحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٨)، وسنن النسائي الكبرى (٨٥٦٠).

(٣) سنن ابن ماجه (١٦٩).

(٤) صحيح البخاري (٥٠٥٩).

(٥) صحيح البخاري (٥٤٢٧) و (٧٥٦٠)، وصحيح مسلم (٧٩٧)، وسنن أبي داود (٤٨٣٠)، وسنن الترمذي (٢٨٦٥)، وسنن النسائي ٨/ ١٢٤، وسنن ابن ماجه (٢١٤).

(٦) حديث ضعيف، أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦)، والترمذي (٢٩١١) من حديث أبي أمامة، وفي إسناده =

والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج، وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وقد قال في الرواية الأخرى: «**يحقِرُ أحدُكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم**». ومع هذا أمربقتلهم؛ لأنهم مُراؤون في أعمالهم في نفس الأمر، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك، إلا أنهم أسَّسوا أعمالهم على اعتقادٍ غير صالح، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورَدِّ رواياتهم، كما سيأتي تفصيلُه في موضعه إن شاء الله.

والمنافق المشبَّه بالريحانة التي لها ريحٌ ظاهر، وطعمها مُرٌّ، هو المرائي بتلاوته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ثم قال البخاري:

اقرؤوا القرآن ما ائتَلَفت [عليه][1] قلوبكم

حدثنا أبو النُّعمان محمد بن الفضل عارم، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عِمران الجَوْني، عن جُنْدُب بن عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآنَ ما ائتلفَتْ قلوبُكم، فإذا اختلفْتُم فقوموا عنه»[2].

حدثنا عَمرو بن علي بن بحر الفلاَّس، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سلاَّم بن أبي مُطيع، عن أبي عِمران الجَوْني، عن جُنْدُبٍ قال: قال رسول الله ﷺ:

= بكر بن قيس وليث بن أبي سليم، وهما ضعيفان، وأخرجه الترمذي (٢٩١٢) من رواية جبير بن نفير عن النبي ﷺ، وروايته عنه مرسلة، وفي إسناده ـ أيضاً ـ العلاء بن الحارث، وقد اختلط. والصحيح في هذا أنه من كلام خبَّاب بن الأرت فيما رواه ابن أبي شيبة ١٠/ ٥١٠، والأجري في «الشريعة» (١٥٧) وغيرهما.

(١) كلمة «عليه» ليست في النسخة الخطية، وأثبتها من صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٦٠).

«اقرؤوا القرآنَ ما ائتلفَتْ عليه قلوبُكم، فإذا اختلفتُم فقوموا عنه».

تابعه الحارث بن عُبيد وسعيد بن زيد، عن أبي عمران، ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان.

وقال غُنْدَر، عن شعبة، عن أبي عِمران قال: سمعت جُنْدُباً .. قولَه.

وقال ابن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر ... قوله. وجندب أصحُّ وأكثر[١].

وقد رواه في موضعٍ آخر، ومسلم، كلاهما عن إسحاق بن منصور، عن عبد الصمد، عن همَّام، عن أبي عمران، به[٢].

ومسلم ـ أيضاً ـ عن يحيى بن يحيى، عن الحارث بن عُبيد أبي قدامة، عن أبي عمران، به[٣].

ورواه مسلم ـ أيضاً ـ عن أحمد بن سعيد، عن حبان بن هلال، عن أبان العطار، عن أبي عمران، به مرفوعاً[٤].

وقد حكى البخاري: أنَّ أبان وحماد بن سلمة لم يرفعاه، فالله أعلم.

ورواه النسائي، والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم، عن هارون بن موسى الأعور النَّحْوي، عن أبي عمران، به[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٦١) وفي قوله: «أصحُّ وأكثر»، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٩/ ١٠٢: أي: أصحُّ سنداً وأكثر طرقاً، وهو كما قال، فإن الجمَّ الغفير رووه عن أبي عمران عن جندب، إلا أنهم اختلفوا عليه في رفعه ووقفه، والذين رفعوه ثقاتٌ حُفَّاظٌ، فالحُكم لهم، وأما رواية ابن عون فشاذة لم يُتابَعْ عليها.

(٢) صحيح البخاري (٧٣٦٥)، وصحيح مسلم (٢٦٦٧)(٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٦٧) (٣).

(٤) صحيح مسلم بإثر (٢٦٦٧) (٤).

(٥) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٨)، والمعجم الكبير للطبراني (١٦٧٤).

ورواه النسائي ـ أيضاً ـ من طرقٍ:

عن سفيان، عن حجاج بن فُرافصة، عن أبي عمران، به مرفوعاً، وفي رواية: عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، عن أبيه، عن سفيان، عن حجاج، عن أبي عمران، عن جُنْدُب موقوفاً[١].

ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الله بن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله[٢].

قال أبو بكر بن أبي داود: لم يُخطئ ابن عون في حديثٍ قطُّ إلا في هذا، والصواب عن جندب.

ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز، عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا: حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران، عن جندب مرفوعاً[٣].

فهذا ما تيسَّر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار، والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري رحمه الله، من [أنّ][٤] الأكثر والأصح: أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحضَّ أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعةً على تلاوته، متفكرةً [فيه][٥]، متدبرةً له، لا في حال شغلها وملامها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام: **«اكْلَفُوا من العمل ما تطيقون، فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا»**[٦]،

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٦).

(٢) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٩).

(٣) المعجم الكبير (١٦٧٣).

(٤) كلمة «أن» زيادة من طبعة دار طيبة.

(٥) كلمة «فيه» زيادة من طبعة دار طيبة.

(٦) أخرجه أحمد (٢٤١٢٤) واللفظ له، والبخاري (٤٣) و(٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) و(٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال: «**أحبُّ الأعمال إلى الله ما داوَم عليه صاحبُه**»[١]، وفي اللفظ الآخر: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدوَمُها وإن قلَّ**»[٢].

ثم قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزَّال بن سَبْرة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ أنه سمع رجلاً يقرأ آيةً سمعَ النبيِّ ﷺ خلافَها، فأخذتُ بيده فانطلقتُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**كلاكما مُحسِنٌ فاقرأ**» أكبَرُ علمي قال: «**فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فأهلَكَهم اللهُ عزَّ وجَلَّ**»[٣].

وأخرجه النسائي من رواية شعبة، به[٤].

وهذا في معنى الحديث الذي تقدَّمه، وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمِراء فيه، كما تقدَّم النهي عن ذلك، والله أعلم.

وقريبٌ من هذا ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه: حدثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجَرْمي، حدثنا يحيى بن سعيد الأُموي، عن الأعمش، عن عاصم، عن زِرِّ بن حُبَيش قال: قال عبد الله بن مسعود: تَمارَينا في سورةٍ من القرآن، فقلنا: خمسٌ وثلاثون آية، سِتٌّ وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فوجدنا عليّاً يُناجيه، فقلنا له: اختلفنا في القراءة، فاحمرَّ وجهُ رسول الله ﷺ، فقال عليٌّ: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما قد عُلِّمْتُم[٥].

وهذا آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن، ولله الحمد والمِنَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥) (٢٢١) عن عائشة أنها قالت: كان أحبُّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٢) (٢١٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٦٢).

(٤) سنن النسائي الكبرى (٨٠٩٥).

(٥) زوائد عبد الله على «مسند أحمد» (٨٣٢)، وهو حديث حسن لغيره.

كتاب الجامع
لأحاديثَ شتَّى تتعلق بتلاوة القرآن
وفضائله وفضل أهله
فصل

قال أحمد: حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ قال: قال نبيُّ الله ﷺ: **«يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرَأْ واصعَدْ، فيقرأ ويصعَدُ بكلِّ آيةٍ درجة، حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ معه»**[١].

وقال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، جدثنا حَيْوَةَ، حدثنا بشير بن أبي عمرو الخولاني، أنَّ الوليد بن قيس التُجيبي حدَّثه، أنه سمع أبا سعيدٍ الخُدريَّ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«يكون خَلْفٌ من بعدِ الستينَ سنة، أضاعوا الصلاةَ واتَّبعوا الشهواتِ فسوف يلقَون غَيًّا، ثم يكون خَلْفٌ يقرؤون القرآن لا يعدو تراقِيَهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمنٌ ومنافقٌ وفاجر»**. قال بشير: فقلتُ للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافقُ كافرٌ به، والفاجرُ يَتَأكَّلُ به، والمؤمن يؤمنُ به[٢].

وقال أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا اللَّيث، حدثني يزيد بن أبي حَبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطَّاب، عن أبي سعيدٍ أنه قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ عام تبوك خطبَ الناسَ وهو مسندٌ ظهرَه إلى نخلة، فقال: **«ألا أُخبركُمْ بخير الناس وشرِّ الناس؟ إنَّ من خير الناس رجلاً عمِلَ في سبيل الله على ظَهرِ فرسه، أو على ظَهرِ بعيره، أو على قدميه، حتى يأتيه الموت، وإنَّ من شرِّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله، لا يَرْعَوي إلى شيءٍ منه»**[٣].

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هيَّاج الكوفي، حدثنا

---

(١) مسند أحمد (١١٣٦٠)، وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) مسند أحمد (١١٣٤٠)، وإسناده حسن.

(٣) مسند أحمد (١١٣١٩)، وهو حديث حسن لغيره.

الحسين بن عبد الأول، حدثنا محمد بن الحسن الهَمْداني، عن عَمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: مَنْ شغلَه قراءةُ القرآن عن دعائي أعطيتُه أفضلَ ثوابِ الشاكرين»**[١].

وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ فضْلَ كلام الله على سائر الكلام كفضلِ الله خَلْقه»**. ثم قال: تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثني عبد الرحمن بن بُدَيْل بن ميسرة، حدثني أبي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ للهِ أهْلِين من الناس»** قيل: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟ قال: **«أهلُ القرآن هُمْ أهلُ الله وخاصَّتُه»**[٣].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدثنا خالد بن خِداش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك ﷺ: كان إذا ختم القرآنَ جمَعَ أهله وولده فدعا لهم[٤].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن عبَّاد المكي، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن شَريك، عن الأعمش، عن يزيد بن أبان، عن الحسن، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«القرآنُ غنىً لا فقرَ بعده، ولا غنىً دونه»**[٥].

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار: حدثنا سلمة بن شيب، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا

---

(١) في سنن الترمذي «السائلين».

(٢) والحديث أخرجه ـ أيضاً ـ الترمذي (٢٩٢٦) من طريق محمد بن الحسن الهمداني، به. وفي إسناده ـ أيضاً ـ عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٣) مسند أحمد (١٢٢٩٢)، وإسناده حسن.

(٤) المعجم الكبير (٦٧٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٧٢: رجاله ثقات.

(٥) المعجم الكبير (٧٣٨)، وإسناده مسلسل بالعلل، فيه شريك: وهو ابن عبد الله النخعي، وهو سيئ الحفظ، وفيه يزيد بن أبان: وهو الرقاشي، وهو ضعيف، وفيه عنعنة الحسن: وهو البصري، فهو مدلس.

عبد الله بن المُحرَّر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ شيءٍ حلية، وحليةُ القرآن الصوتُ الحسن**[١]». ابن المحرَّر ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا بكر بن سَوادة، عن وفاء الخولاني، عن أنس بن مالك قال: بينما نحن نقرأ فينا الغربيُّ والعجميُّ، والأسودُ والأبيض، إذ خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أنتم في خيرٍ تقرؤون كتابَ الله، وفيكم رسول الله، وسيأتي على الناس زمانٌ يُثَقِّفُونه كما يُثَقَّفُ القِدْحُ، يتعجَّلون أجورَهم ولا يتأجَّلونها**[٢]».

وقد رواه الإمام أحمد ـ أيضاً ـ عن حسن، عن ابن لَهِيعة، عن بكر، عن وفاء، عن سهل بن سعد، عن النبيِّ ﷺ، فذكره[٣].

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن الجَهْم، حدثنا عَمرو بن أبي قيس، عن عبد ربِّه بن عبد الله، عن عمر بن نبهان، عن الحسن، عن أنس؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ البيت الذي يُقرأُ فيه القرآنُ يَكثُرُ خيرُه، والبيتُ الذي لا يُقرأ فيه القرآنُ يَقِلُّ خيرُه**»[٤].

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة، عن محتسب، حدثني يزيد الرَّقاشي، عن أنسٍ قال: قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناسٌ، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن. قال فقال رسول الله ﷺ: «**أتستطيع أن تُقعِدَني حيثُ لا يراني منهم أحد؟**». **قال: نعم. قال: فخرجَ رسولُ اللهِ حيثُ لا يراه منهم أحد،**

---

(١) مسند البزار «كشف الأستار» (٢٣٣٠).

(٢) مسند أحمد (١٢٤٨٤)، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده. قال السندي في حاشيته على المسند: يُثقِّفونه من التثقيف، بمعنى التسوية. والقِدْح: السهم.

(٣) مسند أحمد (٢٢٨٦٥).

(٤) مسند البزار «كشف الأستار» (٢٣٢١)، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن نبهان، وفيه عنعنة الحسن: وهو البصري، فهو مدلس.

فسمعَ قراءةَ أبي موسى، فقال: «إنه ليقرأُ على مزمارٍ من مزامير داود عليه السلام»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلاَّم، حدثنا جعفر ـ هو ابن محمد بن علي بن الحسين ـ عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: خطَبنا رسولُ اللهِ ﷺ، فحمِدَ اللهَ وأثنى بما هو له أهلٌ، ثم قال: **«أمَّا بعد، فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وإنَّ أفضلَ الهدي هَدْيُ محمدٍ، وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»** ثم يرفعُ صوتَه وتحمَرُّ وَجنتاه، ويشتدُّ غضبُه إذ ذكرَ الساعة، كأنه مُنذرِ جيش. قال: ثم يقول: **«أتَتْكُمُ الساعةُ ـ هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ـ صبَّحتكُمُ الساعةُ ومسَّتكُم، مَنْ تركَ مالاً فلأهله، ومَنْ تركَ دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»**[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب ـ يعني ابن عطاء ـ أنبأنا أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ المسجدَ، فإذا قومٌ يقرؤون القرآن، فقال: **«اقرؤوا القرآنَ، وابتغوا به وجه الله عزَّ وجلَّ، من قبلِ أن يأتيَ بقومٍ يُقيمونه إقامةَ القِدْح، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه»**[٣].

قال أحمد ـ أيضاً ـ: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، حدثنا حُميد الأعرج، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ ونحنُ نقرأ القرآن، وفينا العجميُّ والأعرابيُّ. قال: فاستمَعَ فقال: **«اقرؤوا فكلٌّ حسن، وسيأتي قومٌ يُقيمونه كما يُقام القِدْحُ، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه»**[٤].

وقال أبو بكر البزار: حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن المُعلَّى الكِندي، عن عبد الله بن مسعود قال: **«إنَّ هذا**

---

(١) مسند أبي يعلى (٤٠٩٦)، وفي إسناده يزيد الرَّقاشي، وهو ضعيف.

(٢) مسند أحمد (١٤٣٣٤)، وهو حديث صحيح.

(٣) مسند أحمد (١٤٨٥٥)، وهو حديث صحيح.

(٤) مسند أحمد (١٥٢٧٣).

القرآن شافعٌ مُشفَّعٌ، من اتَّبعه قادَه إلى الجنة، ومن تركَه أو أعرضَ عنه ـ أو كلمةً نحوها ـ زُجَّ في قفاه إلى النار»[١].

وحدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ بنحوه[٢].

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر، حدثني بكر بن يونس، عن موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي، عن جابر بن عبد الله، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«مَنْ قرأ ألفَ آيةٍ كتبَ اللهُ له قنطاراً مئة رطل، والرطل اثنتا عشرة أوقية، والوقية ستة دنانير، والدينار أربعةٌ وعشرون قيراطاً، والقيراط مثلُ أحُد، ومن قرأ ثلاث مئة آية قال الله لملائكته: نصَبَ عبد فيَّ أُشهِدُكم يا ملائكتي أنِّي قد غفرتُ له، ومَنْ بلَغَه عن الله فضيلةٌ فعمل بها إيماناً به ورجاءَ ثوابه، أعطاه اللهُ ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك»**[٣].

وقال أحمد: حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخَرِبِ»**[٤].

قال البزار: لا نعلمه يُروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي قال: وجدتُ في كتاب أبي بخطِّه عن عمران بن أبي عمران، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس

---

(١) مسند البزار «كشف الأستار» (١٢١)، في إسناده المعلى الكندي، وهو مجهول، تفرد بالرواية عنه الأعمش، ولو يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان.

(٢) مسند البزار «كشف الأستار» (١٢٢)، ورجاله ثقات، لكن أبا حاتم في «العلل» لابنه ٢/ ٦٤، والدارقطني في «علله» ٥/ ١٠٢ رجَّحا الموقوف على ابن مسعود.

(٣) معجم شيوخ أبي يعلى (٧٤)، وإسناده ضعيف لضعف بكر بن يونس، ولانقطاعه بين يحيى بن أبي كثير وجابر.

(٤) مسند أحمد (١٩٤٧)، وإسناده ضعيف لضعف قابوس.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اتَّبعَ كتابَ الله هداه اللهُ من الضلالة، ووقاه سوءَ الحساب يوم القيامة، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]**»[١].

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبي، حدثنا ابن لَهِيعة، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحسنَ الناس قراءةً من قرأ القرآنَ يتحزَّنُ به**»[٢].

وقال أيضاً: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا نُعيم بن حماد، حدثنا عَبْدة[٣] بن سليمان، عن سعيد أبي سعد البقَّال، عن الضحَّاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله: «**أحسنوا الأصوات بالقرآن**»[٤].

وروى ـ أيضاً ـ بسنده إلى الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً: «**أشرافُ أمتي حمَلَةُ القرآن**»[٥].

وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا إبراهيم بن أبي سُوَيد الذارع، حدثنا صالح المُرِّي، عن قَتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن ابن عباس قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال: «**الحالُّ المرتَحِلُ**». قال: يا رسول الله، ما الحالُّ المرتَحِلُ؟ قال: «**صاحب القرآن يضرِبُ في أوَّلِه حتى يبلغ آخِرَه، وفي آخرِه حتى يبلغَ أوَّلَه**»[٦].

---

(١) المعجم الكبير (١٢٤٣٧) وفي إسناده أبو شيبة، وهو ضعيف الحديث جداً.

(٢) المعجم الكبير (١٠٨٥٢)، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو سيئ الحفظ.

(٣) تحرف في النسخة الخطية إلى «عبد الله»، والتصويب من المعجم الكبير للطبراني.

(٤) المعجم الكبير (١٢٦٤٣)، وفي إسناده أبي سعد البقال، وهو ضعيف. والضحاك ـ وهو ابن مزاحم ـ لم يسمع من ابن عباس.

(٥) المعجم الكبير (١٢٦١٢)، وهو حديث ضعيف جداً، وفي إسناده سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف. ونهشل بن سعيد وهو متروك، ثم إن الضحاك ـ وهو ابن مزاحم ـ لم يسمع من ابن مسعود.

(٦) المعجم الكبير (١٢٧٨٣)، وفي إسناده صالح المري ـ وهو ابن بشير ـ وهو متروك.

ذكر الدعاء المأثور
لحفظ القرآن وطرد النسيان

قال أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير»: حدثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَري، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن إبراهيم القُرشي، حدثني أبو صالح وعكرمة، عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله، القرآنُ يتفلَّتُ من صدري. فقال النبيُّ ﷺ: **«أُعلِّمُكَ كلماتٍ ينفعُكَ اللهُ بهنَّ وينفَعُ مَنْ عَلَّمتَه»**. قال: قال: نعم بأبي وأمي. قال: **«صلِّ ليلة الجمعة أربعَ ركعاتٍ تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغتَ من التشهد فاحمَدِ الله وأثْنِ عليه، وصَلِّ على النبيين، واستغفِرْ للمؤمنين، ثم قال: اللهمَّ ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلَّفَ ما لا يعنيني، وارزقني حُسْنَ النظر فيما يُرضيك عني، اللهمَّ بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام والعِزَّةِ التي لا تُرام، أسألك يا الله، يا رحمن، بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبي حُبَّ كتابِكَ كما علَّمتني، وارزُقْني أن أتلوَه على النحو الذي يُرضيكَ عني، وأسألُكَ أن تُنوِّر بالكتاب بصري، وتُطلِقَ به لساني، وتُفَرِّج به عن قلبي، وتشرحَ به صدري، وتستعملَ به بدني، وتُقوِّيني على ذلك، وتُعينني على ذلك، فإنه لا يُعينني على الخير غيرُكَ، ولا يُوفِّقُ له إلا أنت، فافعَلْ ذلك ثلاث جمعٍ أو خمساً أو سبعاً تحفظه بإذن الله، وما أخطأ مؤمناً قطُّ»**. فأتى النبيَّ ﷺ بعد ذلك بسبعِ جُمَعٍ فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبيُّ: **«مؤمنٌ ورَبِّ الكعبة»**. علم أبو الحسن، علم أبو الحسن[1]. هذا سياق الطبراني.

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات: حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جُرَيج، عن

---

(١) المعجم الكبير (١٢٠٣٦).

عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أنه قال: بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنتَ وأمي، تفَلَّتَ هذا القرآن من صدري، فما أجِدُني أقدِرُ عليه، فقال له رسول الله ﷺ: **«يا أبا الحسن، ألا أعلِّمُكَ كلماتٍ ينفعكَ اللهُ بهنَّ، وينفعَ بهنَّ مَنْ عَلَّمتَه، ويثبتُ ما تعلَّمتَ في صدرك؟»** قال: أجل يا رسول الله، فعلِّمني. قال: **«إذا كان ليلةَ الجمعة فإن استطعتَ أن تقوم في ثلثِ الليل الآخر فإنها ساعةٌ مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، وقال أخي يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨]، يقول: حتى تأتي ليلةُ الجمعة، فإن لم تستطع فقُمْ في وسطها، فإن لم تستطع فقُمْ في أولها فصَلِّ أربع ركعات، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المُفصَّل، فإذا فرغتَ من التشهد، فاحمَدِ اللهَ وأحسِنِ الثناءَ على الله، وصلِّ عليَّ وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفِرْ للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قُلْ في آخر ذلك: اللهمَّ ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلَّفَ ما لا يعنيني، وارزقني حُسْنَ النظر فيما يُرضيك عني، اللهمَّ بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام والعِزَّةِ التي لا تُرام، أسألكَ يا الله، يا رحمن، بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبي حِفْظَ كتابِكَ كما علَّمتني، وارزُقْني أن أتلوَه على النحو الذي يُرضيكَ عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألُكَ يا اللهُ يا رحمنُ بجلالِكَ ونورِ وجْهِك، أن تُنوِّر بالكتاب بصري، وتُطلِقَ به لساني، وأن تُفَرِّج به عن قلبي، وتشرحَ به صدري، وأن تغسِلَ به بدني، فإنه لا يُعينني على الحقِّ غيرُكَ، ولا يُؤتيه إلا أنتَ، ولا حول ولا قوة إلا الله العليِّ العظيم، يا أبا الحسن، تفعَلُ ذلك ثلاثَ جُمَعٍ أو خمساً أو سبعاً تُجاب بإذن الله تعالى، والذي بعثني بالحقِّ ما أخطأ مؤمناً قطُّ».**

قال ابن عباس: فواللهِ ما لبثَ عليٌّ إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسولَ الله ﷺ في

مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسولَ الله، والله إني كنتُ فيما خلا لا آخذُ إلا أربعَ آياتٍ أو نحوهنَّ، فإذا قرأتُهُنَّ على نفسي تَفَلَّتْنَ وأنا أتعلَّم اليوم أربعينَ آيةٍ أو نحوها، فإذا قرأتُها على نفسي فكأنما كتابُ الله بين عَيْنَيَّ، ولقد كنتُ أسمعُ الحديث، فإذا رَدَّدْتُ تَفَلَّتَ، وأنا اليوم أسمَعُ الأحاديث، فإذا تحدثتُ بها لم أخْرِمْ منها حرفاً، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك: «**مؤمنٌ وربِّ الكعبة يا أبا الحسن**». ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم[١]. كذا قال، وقد تقدم من غير طريقه.

ورواه الحاكم في «**مستدركه**» من طريق الوليد، ثم قال: على شرط الشيخين[٢]، حيث صرَّح الوليد بالسماع من ابن جُريج، فالله أعلم، فإنه في المتن غرابةٌ، بل نكارةٌ، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا العُمَري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ القرآنِ مثلُ الإبلِ المُعقَّلةِ، إن تعاهدَها صاحبُها أمسكَها، وإن تركَها ذهبتْ**»[٣].

ورواه ـ أيضاً ـ عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد الله العمري، به[٤].

ورواه ـ أيضاً ـ عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً نحوه[٥].

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٠).

(٢) المستدرك ١/٣١٦ ـ ٣١٧، وتعقبه الذهبي بقوله: هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن لا يكون موضوعاً، وقد حيَّرني والله جودةُ إسناده.

(٣) مسند أحمد (٤٧٥٩)، وهو حديث صحيح.

(٤) مسند أحمد (٤٦٦٥) عن يحيى بن سعيد، و(٤٨٤٥) عن محمد بن عبيد.

(٥) مسند أحمد (٤٩٢٣).

وقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حُميد بن حماد بن أبي الخُوار، حدثنا مِسْعَر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: أيُّ الناس أحسنُ قراءةً؟ قال: «**من إذا سمعتَه يقرأ رُؤيتَ أنه يخشى اللهَ عزَّ وجلَّ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يُقال لصاحب القرآن: اقْرأْ وارْقَ، ورتِّلْ كما كنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَكَ عند آخر آيةٍ تقرؤها**»(٢).

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهِيعة، حثني حُيَيّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي أقرأُ القرآنَ فلا أجِدُ قلبي يعقِلُ عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ قلبَكَ حُشِيَ الإيمان، وإنَّ العبدَ يُعطى الإيمانَ قبل القرآن**»(٣).

وبهذا الإسناد: أنَّ رجلاً جاء بابنٍ له، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ ابني هذا يقرأ المصحفَ بالنهار ويبيتُ بالليل. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما تنقِمُ أنَّ ابنَكَ يظَلُّ ذاكراً، ويبيتُ سالماً**»(٤).

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لَهِيعة، عن حُيَيّ، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عَمرو، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الصيامُ والقرآنُ يشفعانِ للعبد يومَ القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ، منعتُه الطعامَ والشهواتِ بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآنُ: منعتُه النومَ بالليل فشفِّعني فيه**». قال: «**فيشفعان**»(٥).

---

(١) مسند البزار «كشف الأستار» (٢٣٣٦)، في إسناده حميد بن حماد بن أبي الخوار، وهو ضعيف. لكن الحديث يتحسن بشاهدين تقدما في باب: أحكام التلاوة بالأصوات.

(٢) مسند أحمد (٦٧٩٩)، وإسناده حسن.

(٣) مسند أحمد (٦٦٠٤)، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة وحيي بن عبد الله.

(٤) مسند أحمد (٦٦١٤).

(٥) مسند أحمد (٦٦٢٦)، وإسناده ضعيف كسابقيه.

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهِيعة، [حدثنا درَّاج،][١] عن عبد الرحمن ابن جُبير، عن عبد الله بن عَمرو قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«أكثرُ منافقي أمتي قُرَّاؤها»**[٢].

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثني همَّام، عن قَتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قرأ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ لم يفقهْهُ»**[٣].

ورواه ـ أيضاً ـ عن غُنْدَر، عن شعبة، عن قتادة، به[٤]. وقال الترمذي: حسنٌ صحيح[٥].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهَويه، حدثنا أبي، حدثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبي الحجاج التميمي، عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المهاجر، عن عبد الله بن عَمْرو، عن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قرأ القرآنَ فكأنَّما استُدْرِجَتِ النبوَّةُ بين جنبيهِ، غيرَ أنه لا يُوحَى إليه، ومَنْ قرأ القرآن فرأى أنَّ أحداً أُعطِيَ أفضلَ مما أُعْطيَ فقد عَظَّم ما صَغَّر الله، وصَغَّر ما عظَّمَ الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَه فيمن يَسْفَه، أو يَغْضَب فيمن يَغْضَب، أو يَحْتَدَّ فيمن يَحْتَدُّ، ولكن يعفو ويصفح؛ لِفضل القرآن»**[٦].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عبَّاس بن ميسرة، عن الحسن، عن أبي هُرَيْرَة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنِ استمعَ إلى آيةٍ من كتاب الله**

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في النسخة الخطية، وقد أثبته من المسند.

(٢) مسند أحمد (٦٦٣٤)، وهو حديث حسن.

(٣) مسند أحمد (٦٥٣٥)، وإسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد (٦٨٤١).

(٥) سنن الترمذي عقب الحديث (٢٩٤٩).

(٦) في إسناده إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

كُتِبَتْ له حسنةٌ مضاعفةٌ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»[١].

وقال البزار: حدثنا محمد بن حرب، حدثنا يحيى، المتوكل، حدثنا عَنْبَسة بن مهران، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«مِراءٌ في القرآن كفرٌ»**[٢]. ثم قال: عنبسة: هذا ليس بالقويّ. وعنده فيه إسنادٌ آخر.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو بكر، حدثنا ابن إدريس[٣]، حدثنا المقبُري، عن جدِّه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أعرِبوا القرآنَ، والتمسوا غرائبَه»**[٤].

وقال الطبراني: حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بُكير الحضرمي، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش، عن يحيى بن الحارث الذِّماري، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن فَضالة بن عُبَيد وتَميم الداري، عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَنْ قرأ عشْرَ آياتٍ في ليلةٍ كُتِبَ له قنطار، والقنطار خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربُّكَ عزَّ وجلَّ: اقرأْ وارْقَ بكلِّ آيةٍ درجةً حتى ينتهي إلى آخر آيةٍ معه، يقول ربُّكَ: اقْبِضْ، فيقول العبد بيده يا ربِّ أنتَ أعلم. فيقول بهذه الخلد، وبهذه النعيم»**[٥].

آخر كتاب فضائل القرآن، وبه تمَّ التفسير، للحافظ، العلامة، الرحلة، الجهبذ، مفيد الطالبين، الشيخ عماد الدين بن إسماعيل، الشهير بابن كثير، كثَّر الله فوائده.

---

(١) مسند أحمد (٨٤٩٤)، وإسناده ضعيف، عباس بن ميسرة لين الحديث، والحسن ـ وهو البصري ـ لم يسمع من أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٤٩٦) من طريق محمد بن حرب، به. وهو حديث صحيح، أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٥٠٨) وانظر تمام تخريجه هناك.

(٣) في النسخة الخطية «ابن أبي إدريس» والتصويب من مسند أبي يعلى.

(٤) مسند أبي يعلى (٦٥٦٠)، وإسناده ضعيف جداً، فيه المقبري ـ واسمه عبد الله بن سعيد ـ وهو متروك.

(٥) المعجم الكبير (١٢٥٣)، والقاسم أبو عبد الرحمن قيل بأنه لم يسمع من أحد من الصحابة سوى أبي أمامة.

على يد أفقر العباد إلى الله الغني، محمد بن معمر المقرئ البغدادي عفا الله عنه، ونفعه بالعلم، ووفقه للعمل به آمين، وحرسَ الله مجد مالكه آمين، بتاريخ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة، من سنة تسعٍ وخمسين وسبع مئة هلالية هجرية، صلوات الله وسلامه على مشرِّفها، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.